مَسِيرُ العَزْمِ

مسرحية

محنة الإمام أحمد في مسألة خلق القرآن

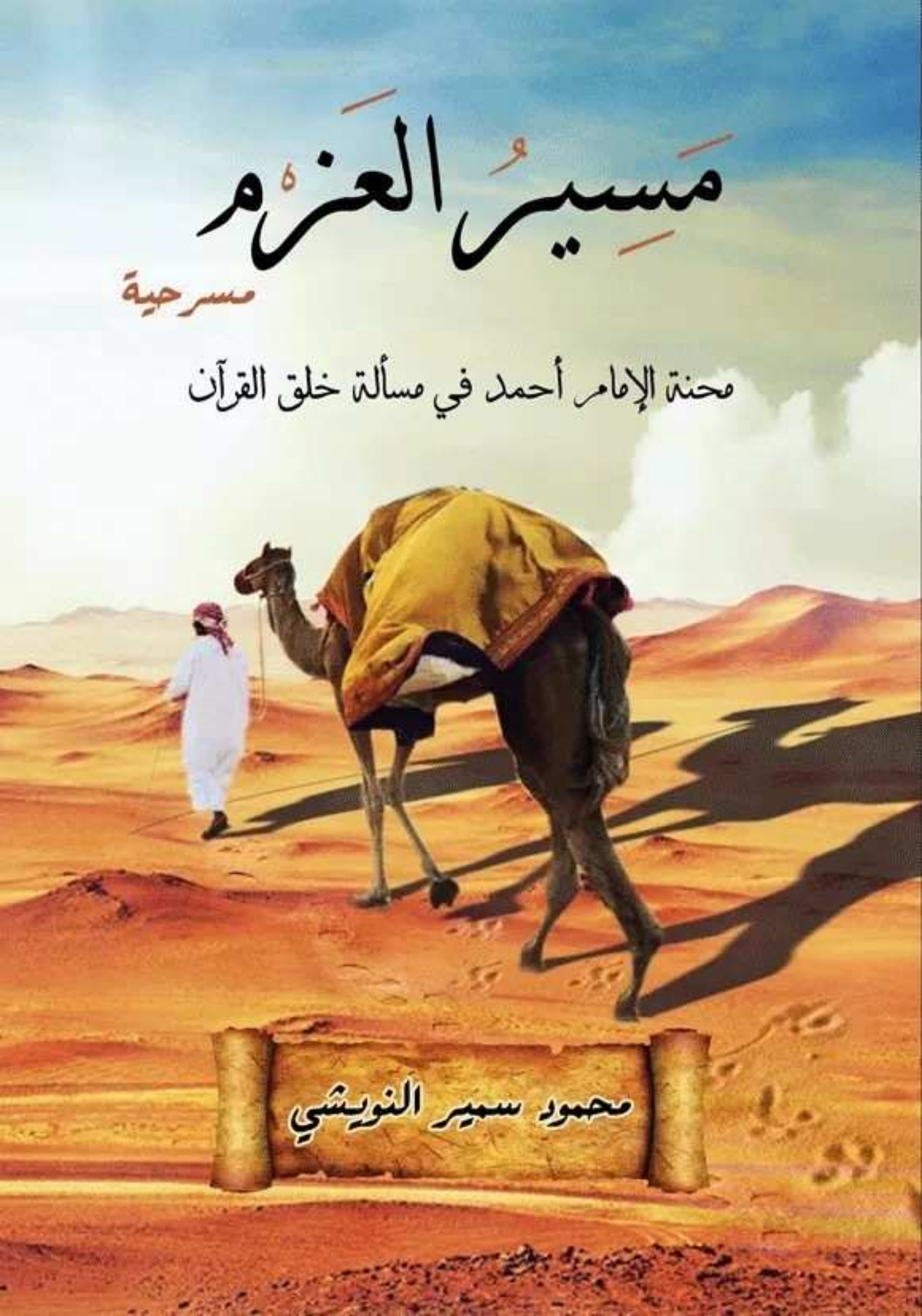

محمود سمير النويشي

مسير العزم

نص مسرحي

الكتاب : مسير العزم
المؤلف : محمود سمير النويشي
تصميم الغلاف : محمد مجدي
مراجعة لغوية: هبة النجار
رقم الإيداع : 19614\2015
الترقيم الدولي : 978-977-6495 -28- 5

***

دار الميدان للنشر و التوزيع
جمهورية مصر العربية
هاتف 01224245429 / 0552311408
Website: www.daralmidan.com
E-mail: almidan@daralmidan.com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، و أي اقتباس أو اعادة طبع أو نشر دون أخذ موافقة كتابية من دار الميدان فإن ذلك يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

مسير العزم

محنة الإمام أحمد في مسألة خلق القرآن

محمود سمير النويشي

وإذا تَثاقَلَ جِسْمُهُ لهُنَيْهَةٍ يَحْدُوهُ عَزْمٌ تَالدٌ فَيَسِيرُ

إهداء

" إلى أولي العزم من البشر... الذين يحيون فى سفينة الدين

تحملهم هي في بطنها، ويغذون هم مراجلها بأرواحهم...

طوعا... محبين... صابرين...

فلا هي تغرق بدونهم، ولا هم ينجون من لجج البحر دونها...

ولا تكاد تتقدم سفينة دون تطوع أمثالهم.....

منهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر "

تقديم:		11
المشهد الأول:	نبوءة	25
المشهد الثانى:	علماء السلطان	33
المشهد الثالث:	فى الطريق إلى المأمون	43
المشهد الرابع:	المناظرة	53
المشهد الخامس:	في سوق بغداد	67
المشهد السادس:	الواثق	93
المشهد السابع:	الإقامة الجبرية	101
المشهد الثامن:	انفراج الأزمة	117
المشهد التاسع والأخير:	وفاء	123

****

الحمد لله المتفرد في الكمال بتمام الجلال تعظيمًا وتكبيرًا...

المتفرد بتصريف الأحوال على التفصيل والإجمال تدبيرًا وتعظيمًا... الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديرًا.

الحمد لله الذي أنار طريقنا إليه بمصابيح الهدى من الصالحين الأعلام، فجعل منهم أقمارًا منيرة في الليالي الظلام، وعَبَدَ طريقنا إليه بسيرِهم العطرة، فكانوا -بجانب عونهم لنا على الاهتداء إلى الطريق- حجة على كل باطل أو مجادل، على كل باطل ندحضه إذا ما سرنا على هدى هؤلاء الأتقياء، وعلى كل مجادل يحاول أن يرسم طريقًا غير طريقهم بحسن نية أو بسوء نية، وصلاة وسلامًا على معلم الناس الخير، إمام المرسلين وسيد النبيين... محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي قال:

"إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[1]

وبعد ،،،

فهذه مسرحية (مسير العزم) قصدت بها تبسيط وتجميع أحداث الفتنة التي أوذي في سبيلها أحد الأئمة الأربعة الفقهاء، وهو الإمام العلم (أحمد بن حنبل) على مدار حكام عباسيين ثلاثة، وهم (المأمون)، فـ(المعتصم)، فـ(الواثق)، وقد قدم له الدكتور (موسى شاهين) في كتاب (ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل)، ولأزمته باختصار قائلًا: "... من

1. سنن أبي داوود

هؤلاء الإمام الصابر المحتسب (أحمد بن حنبل)، لقد تأججت فتنة خلق القرآن في عصره، وتطاير شررها على فقهاء الإسلام وعلمائه، ففر من نارها بعضهم، وتحايل عليها بعضهم، ووقف الإمام (أحمد) في صبر وثبات وقوة عقيدة وإيمان كأنه الجبل الراسخ، يدفع ويدافع، ويصد ويحمي، ويرد ويفتي"... ولم تحل تلك الأزمة إلا في عهد (الواثق).

جاءت هذه الفتنة عقب مرحلة كثر فيها أهل الفتن والبدع والضلال، وكثر أتباعهم، وخاصة في الفترة (100–150) هـ -على سبيل التقريب- ونشوء الجماعات الضالة المضلة التي روجت لبدع جديدة ما أنزل الله بها من سلطان، ولما فسد الناس كان لابد من فتنة تصفي النفوس، وتمحص القلوب، حتى يميز الله الخبيث من الطيب، قال تعالى: **"أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون"**.. وحتى يعلم الناس أن الهلكة في البعد عن شرع الله وهجر الحق، فكانت هذه المرة فتنة عقائدية ليست سياسية كالتي حدثت في صدر الإسلام الأول، وتسببت في إسقاط الخلافة الراشدة، وكانت الفتنة التي تعرض لها (الإمام أحمد)، ومن معه، ومن عاش في زمانها هي فتنة خلق القرآن التي أوذي فيها، وضرب جسده بالسوط حتى غشي عليه، وتساقط بعض جلده، وشرف على الهلاك.. رضي الله عنه وعن أمثاله في كل عصر وفي كل أرض.

ولد الإمام (أحمد بن حنبل) في ربيع الأول للعام 164هـ الموافق 780م في بغداد، ونشأ فيها يتيماً، وكُنِّيَ بـ(أبي عبد الله)، وكان أسمر اللون، متوسط القامة، يخضب رأسه ولحيته بالحناء، وفي لحيته شعيرات سود، وكان شديد العناية بنظافة بدنه وثوبه، وعليه سكينة ووقار، طلب العلم صغيراً، فاختلف إلى الديوان وهو ابن أربع عشرة سنة، وطلب الحديث في السادسة عشرة من عمره، ثم درس الفقه وأصوله، والتقى بـ(الإمام الشافعي) في بغداد، وظل معه من 195هـ وحتى 197هـ، قال عنه الشافعي:

" (أحمد) إمام في ثماني خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة"

وقال عنه أيضًا:

أضحى ابن حنبل حجّةً مبرورةً

وبِحُبَ أحمدَ يُعـرَفُ المـتنسَكُ

وإذا رأيت لأحمـد متنقِّصـاً

فاعلم بـأنَّ سُتـورَهُ ستُهَتَّـك

وقد قال عنه صاحبه (المروذي):

"لم أرَ الفقيرِ في مجلس أعز منه في مجلس (أبي عبد الله)، كان مائلًا إليهم، مقصرا عن أهل الدنيا، وكان فيه حلم، ولم يكن بالعجول، بل كان كثير التواضع، تعلوه السكينة والوقار، إذا جلس مجلسه بعد العصر لا يتكلم حتى يُسأل"

وكان (الإمام أحمد) مع هذا عفيفًا، لا يميل إلى أمير طلباً لما عنده، ولا يتكلف شهرة، ولقد أبى أن يحدث الناس إلا بعد أن تخطى الأربعين من عمره.

أدرك (الإمام أحمد)، (الشافعي)، و(وكيع)، و(سفيان بن عيينة)، ولم يدرك (الإمام مالك) الذي مات في 197هـ، وقد كان أعظم مؤلفاته – رحمه الله– مسنده، وهو عبارة عن ثلاثين ألف حديث، وكان يقول لابنه عنه وهو يؤلفه:

"احفظ هذا المسند، فإنه سيكون للناس إماماً"

فعاش (أبو عبد الله، أحمد بن حنبل) إماماً، وترك لنا بصموده بصمة، ثم هو يجعل من بعده كتابه إماماً، وهكذا يحيا كل حق إلى قيام الساعة، ولو أوذي واضطهد، ويموت كل باطل عاجلًا أوآجلًا مهما علا وارتفع. وإنما المؤمن كريحانة كلما اهتزت بأيدي الريح نشرت عطرها ووزعته طوعاً على كل عابر بجوارها حتى وإن آذى الريح بنيانها، ولعلنا بتعرضنا لسيرة هذا الإمام العلم نشتم بعض عطره، ونقتطف ثمار تجربته.

وقد عمدت إلى الكتب التي ذكرت المحنة، فلخصت ما فيها في هذه المسرحية بأسلوب بسيط، مهذباً المسرحية من العنعنات التي تملأ المراجع، وتضفي مللًا لبعض القراء، فلا يقبلون على الكتب والأبحاث ذات المحتويات القيمة. فأنا أرى أن الكتب في الإسلام مرت بمراحل ثلاث، الأولى: هي مراحل حَوَتْ تاريخًا مجرداً جامعاً، ككتاب (الطبري)، و(الذهبي)، و(ابن كثير) وغيرهم، وهي مراجع كبرى بل أمهات للكتب، حتى إننا نجد فيها فهارس للفهارس، والمرحلة الثانية كانت/تكون على أيدي محققين أشاوس يجمعون من هذه (الأمهات) فيجعلون كل موضوع في كتاب مستقل، وهذا يتطلب بحثًا مضنياً يجعل معه كل باحث أدلة كل سطر فيه متوافرة في بحثه، ولهذا يخرج هذا الكتاب كمرجع كثيف المضمون كبير الحجم قيم بالتأكيد، ثم تأتي مرحلة ثالثة عندما تتعدد هذه الأبحاث بحيث يظهر الإجماع على أحداث معينة فتصبح معلومة للقارئين والمقلبين في هذه الكتب، وهنا يتطوع كتاب فيعبدون هذه الكتب، والتي قد تكون للدارس المحص أقرب منها للقارئ العادي، ليعيدوا تقديمها إلى القارئ الذي لا يرغب دراسة الموضوع، ولكنه يريد الإلمام بالقضية ذاتها ليخرج منها بفوائد، وغالباً ما تكون هذه الكتب (كتب المرحلة الثالثة) عامدة إلى استخلاص فوائد أحجم عن تحقيقها أصحاب المرحلتين الأولى والثانية الذين عنوا أكثر

بالتحقيق التاريخي والفقهي -والذي كان ضرورياً جدًا- ولعل هذه المسرحية من هذه المرحلة الأخيرة .

وقد حققت أحداث المسرحية من المراجع التالية:

- (أحداث محنة الإمام أحمد بن حنبل مقدمات وأصول)، كتبه (رأفت بن حامد).

- (أحمد بن حنبل والمحنة)، رسالة دكتوراة لـ(ولتر م. باتون)، والتي ترجمها (عبد العزيز عبد الحق)، وهي رسالة معلوماتية من باحث مستشرق.

- (البداية والنهاية)، الإمام (الحافظ ابن كثير).

- (التأويل الحداثي للتراث)، (إبراهيم عمر السكران).

- (ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل)، جمع (أبي عبد الله بن حنبل بن إسحاق بن حنبل) وهو ابن عم الإمام (أحمد بن حنبل)، دراسة وتحقيق الدكتور (محمد نغش).

- (سير أعلام النبلاء)، الإمام (الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي).

- (محنة الإمام أحمد)، لـ(محمد عبد الغني المقدسي).

- (موجز التاريخ الإسلامي)، لـ(أحمد معمور العسيري).

ولن أكرر في المسرحية المصادر لكل جزئية، وهذا كي لا ألفت نظر القارئ عن الفكرة، وكي لا أشتته بين هوامش فكره، وهوامش المراجع، وهوامش المعلومات الجانبية، والتي أردت إضافتها بجانب المسرحية، لتحقيق دائرة أوسع، لمن أراد لتأمل المشهد، و أيضًا بسبب التشابه الكبير في نقل

الأحداث في المصادر المختلفة، وهذا يعود إلى وحدة المصادر، فأغلب الروايات المنقولة آتية من ابن عم (الإمام أحمد) أو ابنه، وما أوردته في الهوامش وجدته في مصدر دون الآخر سأسبقه بـ(يُقال) وفقط، وهي مرات معدودة للغاية لا تمس بناء المسرحية إطلاقًا.

إن النظرة المتعمقة الباحثة عن النموذج المهيمن أوالفكرة القائدة التي يمكن بها عنونة حياة شخصية تعرف هدفها في الحياة، وتبذل نفسها في سبيله، طوعًا هامة ومثمرة للغاية بحيث يصبح هذا النموذج (المهيمن) في حياة الشخصية اللامعة هو محور حياة الشخص أومركزه الذي تدور تفصيلات حياته من حوله مغلفة بسير الأحداث التاريخية، ويصبح هذا النموذج هو الهدف المطلوب للدراسة والفهم والتحليل والنقد أكثر من باقي صفات الشخصية وتفاصيلها، والتي ربما تتكرر - موزعة أو مجملة- في حياة الكثيرين... قدامى أومعاصرين. والأشخاص المؤثرون في مجرى التاريخ واللامعون عادة ما يكونون متميزين بفكرة تمثل نموذجًا اندمجوا معه، فصاروا هم النموذج وصار النموذج هم، بحيث يُستدل بأحدهما على الآخر دومًا، فتركوا خلفهم أخاديد في جسد التاريخ تدل على تدفقهم ذات يوم من خلاله، وتشير إلى الخصب الذي أثاروه يومًا، والذي ربما يتبقى من ثمره ما يؤكل إلى يوم القيامة...

"فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض"

و(الإمام أحمد) أحد هؤلاء اللامعين ولا شك، وهو ركن في الثبات والأخذ بالعزم، وكسر الظلم بالصمود، والقهر بالصبر، ومقارعة الحجة بالحجة، فجزاه الله عنا كل خير. وهذا النموذج المهيمن عادة ما يولد في وسط الشدائد والفتن والأحداث الجسام التي تنحت في جسد أي أمة أوجماعة من الناس، وهنا تظهر معادن الرجال النفيسة، وسير الأبطال الأشاوس، وتصرفات العباقرة المغاوير، وحنكة الأذكياء المميزين الذين تسطر

أسماؤهم في كتب التاريخ كعناوين رئيسة، بينما يبقى جل البشر في هامشه.

ولنتبين النموذج المهيمن على حياة (الإمام أحمد) نسمع ما يقوله الدكتور (موسى شاهين لاشين) عن (الإمام أحمد)[2] : ".... وإن كان الفرار مرخصًا فيه أمام العدو الذي لا يقدر عليه، فإن الاستبسال وبيع النفس هو المثل الأعلى، ومن هنا كان (الإمام أحمد) مثلًا أعلى في وقت قلت فيه المُثل العليا وانعدمت. ومن هنا كان (الإمام أحمد) بدرًا في ليلة حالكة، ومن هنا كان (الإمام أحمد) بطل هذه المعركة بلا منازع، معركة خلق القرآن، ومن هنا اقترن اسمه بها، وارتبطت مأساتها به رضي الله عنه.

إن النظرة الجزئية السطحية تورث أحيانًا زخمًا معرفيًا وهميًا يصبح فيه الجهل خيارًا أفضل أحيانًا، فلا يمكن بناء نموذج تحليلي يمكن استخدامه كأداة لمعالجة تعقيد الحاضر، أو التنظير للمستقبل بدون النظرة الكلية للحدث مع فهم أبعاد الموقف والشخصية معًا (الحالة الكلية)، لذا فـ(الإمام أحمد) ل يس مجرد شخص عرف كيف يُقنع أعضاء جسده بعدم الجأر بالشكوى نتيجة التعذيب، أو أنه أثار علاقة تطبيعية بين العذاب الذي يناله وبين خلاياه بشكل مجرد ناتج عن قوة إرادة مادية بحتة، فصمدت العلاقة بينهما (التعذيب-خلايا جسده) لأكثر من عامين متواصلين مستسلمًا لقدر الله، إن الموضوع أعمق حتمًا، إذ يدخل فيه طريقة كيفية إ قناع هذا الجسد المحطم خارجيًا باستمداد قوة تجعله صامدًا من الداخل، لا ينكسر تحت معاول الباطل، أوتنثني عزيمته تحت نير الأخذ بالرخصة، وهذا ما يجعل من (الإمام أحمد) نموذجًا مميزًا يستحق التأمل. أما أولئك السالف ذكرهم في خانة النظرة الجزئية فسيحارون عندما يكتشفون أن المنادَى في (وامعتصماه!) هو من وقف

2. في تقديم كتاب(ذكر محنة الإمام أحمد) لعبد الغني المقدسي.

أمام من قال بكفر من يقول بخلق القرآن وجهًا لوجه، فالنظرة الجزئية هنا ستُدمر نفسها وصاحبها إذ تتصادم فيه الأفكار الضيقة فيعزف العقل عن التفكير استسهالًا، ويُحرم صاحب هذا العقل ثمار التدبر الواعي للتاريخ، فالأمر لا يحتمل النظر إلى الإنسان كوحدة مادية ثابتة مجبولة على الشر كشيطان أوالخير كملاك، بل الأمر يحتاج إلى تدقيق متجاوزًا نظام تقييم (الوحدات) هذا إلى النظر إلى الآلة ككل، أوإلى الحق كمكون متمركز يدور الأشخاص حوله ومعهم الأحداث أيضًا، هنا فقط نخرج من ضيق الحكم القاصر على الماضي إلى حسن التعامل مع الحاضر، ورحابة التنظير للمستقبل.

إن حركة التاريخ الإسلامي تشير إلى طبيعة موجية رتيبة فيه، فالأمة تتحرك بين منحنيات الصعود والهبوط متأرجحة بين القمة والقاع، ويمكن رؤية ذلك في كتب التاريخ الإسلامي الموجزة واضحًا جليًا، وإن كانت هذه الموجة لا تذوب أبدًا بحفظ الله لها، ولكن للأسف قليل من يحاول تدبر خصائص هذه الموجة ليعرف سنن الهروب من القاع إلى القمة، ولعل هذا أحد أهم ما يجب أن نهدف إليه الآن في حاضرنا، ولعل التاريخ هو أفضل وسيلة لذلك.. حيث يقول الشيخ (حسن بن عبد الله آل شيخ):

"التاريخ مدرسة الأجيال، يتعلم فيها الأحياء ما ينفعهم فيعملونه، وما يضرهم فيجتنبونه، وهو الجسر الذي يصل ماضي الأمة بحاضرها... فعسانا نصلح هذا الجسر، فلا نهدم حيث نريد أن نصلح، ولا نكرر الأخطاء حيث نريد أن نبدع، إننا بعيدون وللأسف عن التاريخ ونماذجه، وفي هذا يقول الشيخ (محمد الغزالي) -رحمه الله-:

"إن التاريخ يسجل الوقائع، ويستخلص منها العبر، وعلم التاريخ الإسلامي في كلا المجالين مقصّر، ونظرة عجلى إلى الأربعة عشر قرنًا التي غبرت، وإلى الأقطار الفيحاء التي انداح فيها الإسلام خلال هذه المدة

الطويلة، ونظرة أخرى إلى الهزائم والانتصارات، وظروف التقدم والتأخر التي عرضت لهذه الأمة تبرز بقوة أن علم التاريخ لم يتناول إلا مساحة محدودة من الزمان والمكان، وأن حساب الأرباح والخسائر مضطرب حينًا، ومعدوم حينًا آخر"

ليتنا نفيق فنعرف الدواء (المتاح) للداء (العضال) الذي مزق جسد أمتنا.

توفي (الإمام أحمد) 241هـ، الموافق 855م، عن عمر 77 عامًا، بعد رحلة طويلة من العطاء، وبعد أن ترك بصمة على صفحة حياتنا... قد تبلى الصفحة، ولا تبلى البصمة.

أسأل الله أن يتقبل مني هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون مفيدًا في إجمال وصف مسير هذا البطل .

"اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق، فإنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"

20 جماد أول 1435

21 مارس 2014

"إذا أجاب العالم تقية والجاهل بجهل، فمتى يتبين الحق؟"

الإمام أحمد بن حنبل

المشهد الأول

نبوءة...

الأشخاص :

أحمد بن محمد الحجاج (المروذي): صاحب الإمام أحمد بن حنبل.

(أعرابي 1).

(أعرابي 2).

الإمام أحمد بن حنبل (أبو عبد الله) .

الزمن :

أول المحرم - 218 هجري.

المكان :

بغداد.

****

(يقبل (أعرابي1) و(أعرابي 2) من أقصى اليسار..عليهما أثر السفر، ويكثران التلفت وكأنهما يبحثان عن شيء، حتى يقدما (المروذي) جالسًا أمام حانوت، وفي داخل الحانوت بائع يبيع لآخرين..)

(على اليمين بيت بسيط لـ(الإمام أحمد))

(أعرابي1): (يقترب من خلف (المروذي) وينقر على كتفه) ويقول: ـ"يا هذا! أنت (أحمد بن حنبل)؟"

(المروذي): (ملتفتًا بدهشة ناظرًا إلى كتفه حيث نقر الأعرابي استهجانًا لأسلوب الرجل، ثم رفع بصره إلى الفاعل مارًا بعينيه على ردائه عساه يعلم من أين هو، فقد بدا غريبًا)

ـ"لا، لست هو، أنا صاحبه"

(يقلب نظره بين البدويين):

ـ"اذكرا حاجتكما"

(أعرابي 1): ـ"نريده" (قالها باقتضاب)

(المروذي): (يظهر الشك في عينيه، ثم يستقيم واقفًا):ـ "خير!؟"

(أعرابي 1): (يعدل من هندامه في ثقة، وبهامة منتصبة، ويلتقي حاجباه، ويقول بصوت خفيض كأنه يكتم سرًا):

ـ"خير إن شاء الله"

(المروذي): (يسكت قليلًا مارًا بعينيه على ملامح الرجلين محاولًا قراءة ما وراءهما، ثم يقرر بعد ثوان أنه لن يفلح في استشفاف ما يريدانه، فقد بديا له أن عقولهما أبسط من أن تخط على وجهيهما أي أمارات يُستدل بها على أي شيء غير تلك التي يتظاهران بها من أهمية الأمر.. سيدلهما عليه إذًا.. هذا قراره) ـ"أدلكما عليه؟"

(أعرابي 1): ـ"إي والله"

(يسير الثلاثة إلى دار (الإمام أحمد) على يمين المسرح يحدوهم (المروذي)، ويطرق (المروذي) الباب)

(الإمام أحمد):(من خلف باب البيت): ـ"من هذا؟؟"

(المروذي): ـ"أنا (المروذي)"

(الإمام أحمد): ـ"ادخل"

(المروذي): ـ"أنا ومن معي؟"

(الإمام أحمد): ـ"أنت ومن معك"

(يُفتح الباب، فيلقاهم رجل وقور نحيل أسمر البشرة طويل القامة، في لحيته شعيرات سود تزيده وقاراً وجلالًا في عيني الناظر، وله شارب مهذب، رداؤه أبيض نظيف غير ناعم، لا يوحي بترف عيش، وله عمامة تزيده هيبة، يسبق (أعرابي 1) الواقفين الثلاثة إلى الإمام، ويطل البِشر من عينيه، ويمسك (الإمام أحمد) من كتفيه، ويهزه)

(أعرابي 1): ـ"إي والله! إي والله! إي والله!"

(الإمام أحمد): (مندهشًا)ـ"من أنت!؟ وما حاجتك يا رجل!؟"

(أعرابي 1):(ينطق حروف كلماته ببطء مع ابتسامة ليثير فضول (الإمام أحمد))

ـ" أنا رسولُ رسولِ الله"

(المروذي):(مندفعًا، ومفسحًا المجال بين الأعرابي و(الإمام أحمد))
ـ"ويحك يا رجل! أنظر ما تقول!"

(أعرابي1): (يكمل كلامه بهدوء وكأنه لم يُثر فضول (الإمام أحمد) وصاحبه للتو، ودون أن ينظر للمروذي) ـ"أنا رجل بدوي من حيٍ بيننا وبين المدينة أربعون ميلًا، أوفدني أهلي إلى المدينة أمتار[3] لهم برًا وتمرًا، فأتيت المدينة، فابتعت ما عهدوا إلي من ذلك، فأتاني المساء، فصليت في مسجد رسول الله عشاء الآخرة، واضطجعت، فبينما أنا نائم إذ أتاني محرك فحركني، وقال لي: ـ"أتمض لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– في حاجة؟"

فقلت: ـ"إي والله"

فقبض بيده اليمنى على ساعدي الأيسر، وأتى بي حائط قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- فوقفني عند رأسه، فقال:

ـ"يا رسول الله!"

فسمعت من وراء الحائط قائلًا يقول:

ـ"أتمضي لنا في حاجة؟"

فقلت: ـ"إي والله! إي والله! إي والله!"

فقال:ـ"تمضي حتى تأتي بغداد، فإذا أتيتها فسل عن منزل (أحمد بن حنبل)، فإذا لقيته فقل..."

(يقف البدوي للحظة وكأنه يستجمع أنفاسه التي بعثرها طول السفر الذي أتى منه، مبتلعًا ريقه، وقاصدًا شد انتباه (الإمام أحمد) الذي قطب جبينه مستعدًا لسماع أمر هام...)

3. يشتري لهم.

(المروذي): (بعصبية زائدة) ـ"تحدث يا رجل، لقد أثرت فضولنا بقولك، وها أنت تشق علينا بصمتك، فأخرج ما في جعبتك أنشدك الأخوة في الدين، وحدثنا عن أمرك"

(أعرابي 1): (يقلب عينيه في بين (المروذي) وبين الإمام في تلذذ من نجح للتو في إنجاز أمر انتظره لفترة) ـ"قال لي الرسول:

ـ"تمضي حتى تأتي بغداد، فتسأل عن (أحمد بن حنبل)، فإذا لقيته فقل له: النبي يقرأ عليك السلام ويقول لك: "إن الله مبتليك ببلية، وممتحنك بمحنة، وقد سألته لك الصبر عليها، فلا تجزع" "

(يزداد تقطيب حاجبي (الإمام أحمد)، ويفتح (المروذي) فاه من الدهشة للحظات، ولا انفعالات على (أعرابي 2)، و(أعرابي 1) يبدو مستمتعًا بالمشهد كله)

(المروذي): (نافضًا وجهه وكأنه يزيل عنه غبار المفاجأة، ثم يلتفت إلى (الإمام أحمد)) ـ"والله ما زادوا يا إمام عن الرؤية التي رآها (محمد بن إدريس الشافعي) لك!"

(أعرابي 2): ـ"أوَ قد رأى الرجل الذي تذكرون ما رأى صاحبي!؟" (قالها بدهشة حقيقية، وبصوت عالٍ غليظ بدا معه صوت (المروذي) همسًا)

(المروذي): ـ"إي والله، لقد أرسل إلينا رسولًا لينقل إلى الإمام رؤيته، إذ كان قد رآى النبي يقول له:ـ"يا (ابن إدريس)[4]، بشّر هذا الفتى (أبا عبد الله أحمد بن حنبل) أنه سيمتحن في دين الله، ويُدعى إلى أن يقول:(القرآن مخلوق)، فلا يفعل، وأنه سيضرب بالسياط، وأن الله عز وجل ينشر له بذلك علمًا لا ينطوي إلى يوم القيامة"

4. كنية الإمام الشافعي

(أعرابي 2): (يقول بخبث، وعلى جانب فمه ابتسامه) ـ"وما جزيتم الرسول الذي جاءكم بالبشارة؟"

(أعرابي 1):(مقاطعًا بسرعة وكأنه استحمق قول صاحبه، وقد شعر بعظم أمر (أحمد بن حنبل))

ـ" والله ما نريد شيئًا إلا أن تدعو لنا"

(يُخفض صوته في خشوع) ـ"ثبتك الله، فإنك لمقبل إذا على أمر عظيم يا هذا"

(الإمام أحمد) ينظر إليه نظرة وهن، ثم يغمض عينيه وينظر إلى السماء) ـ" ... **ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين"**

(يشير (أعرابي 1) بوجهه إلى (أعرابي 2)، فيتحركان مبتعدين عن البيت دون المزيد من الحديث، تاركين (الإمام أحمد) ناظرًا إلى الفراغ مفكرًا فيما سمع، ومعه (المروذي) ينظر إليه بنظرة يطل منها الإشفاق، ولا يبدو أن أي منهما شعر بمغادرتهما)

(صوت خارجي يردد: ـ"إن الله مبتليك ببلية، وممتحنك بمحنة، وقد سألته لك الصبر عليها، فلا تجزع"..)

الضوء يخفت تدريجيًا..

ستار...

المشهد الثاني

علماء السلطان!

الأشخاص :

الخليفة المأمون[5]

أحمد بن أبي دؤاد–قاضي القضاة

شيخ 1

شيخ 2

حاجب الخليفة

الزمان:

محرم-218هـ

المكان:

الرقة–العراق

****

5. (أبو جعفر عبد الله بن هارون الرشيد)، وكانت ولايته في 198 هـ

(المأمون يجلس في بهرجة زائدة، وفي رداء عدني فاخر وسط حاشيته وصفوة من جلسائه، فيهم علماؤه الذين يشيرون عليه في كل أمر، متكئ على جانبه، وينتثرون هم حوله، وتبدو خلفهم النوافذ الخشبية المصممة وفق الفن الإسلامي عالي الذوق، والذي تطور على أيدي العباسيين بعد أن كانوا مقلدين للفنون الساسانية والبيزنطية والهندية، وبين النوافذ نقوش وزخارف تقارب الرسم الذي صممت وفقه النوافذ فأصبح بين الكل اتصال وتمازج جميل، ويزيد إذا ما امتد النظر إلى السجاد الوثير الممتد كنهر لا نهاية له أمام مقام المأمون الجالس على أريكة خشبية سوداء غير مصمتة مرسوم عليها بلون أبيض ليس فيه تناقض كثير مع اللون الطاغي وكأنه مطرز به ومطمور به طمرا ويعلو الجالس قبة ذهبية، وعلى يمينه وشماله ارتفع عمودان حتى السقف ذهبيا اللون وكأنهما عرقان من الذهب نفرا من الأرض، وامتد الجالسون على جانبي السجادة الممدودة والملونة بالطول بالألوان الأبيض والأسود، وما بينهما من درجات بين يدي المأمون الذي استقرت أمامه أوعية نحاسية لشرابه، قبل أن تنحدر ثلاثة درجات ليبدأ مقام جلسائه، وخلف الجالسين ممرات ودهاليز لا يمكن معها إحصاء حجم مجلس السلطان، وخاصة عندما لا يدري الناظر هل تحجب النمارق الرائعة خلفها ممرات كالمتاهات، أم مزيدًا من النوافذ التي تبدو في كثرتها وكأنها تشرف على كل شبر ببغداد)

(شيخ 1): ـ"أما تدري يا صاحب السلطان، يا من لايقعقع له بالشنآن، وبذكر أمرك تطرب الآذان، الخبر الجديد في أمر أهل البدع والخراب الذين يُحدثون في الدين الأحاديث، يبغون زعزعة النفوس تجاهك، ويحشون آذان العامة بما لا يجوز"

(ينظر إليه المأمون ليكمل)

(شيخ 2): (مكملًا بسرعة) ـ"إنهم يا سيدي بعض من رعاع القوم يتقوتون على مخالفة قولك، وتجرئة الناس عليك حتى يعلو ذكرهم بذلك، ويكثر أنصارهم، وفي هؤلاء الرعاع يا مولاي الخطباء المصاقع[6] والذين لا يخفى عليكم ما لتأثيرهم على الدهماء من خطر واقع، فإن بعض الهمج من العامة يطنبون لكل من يمرق عن الجماعة ظانين فيه البطولة"

(ابن أبي دؤاد): (ملتقطًا طرف الحديث، ومتحدثًا بشيء من الغضب) ـ"والله يا مولاي ما أمرهم بالهين، إنهم يزعمون أن لله شفتين وفم ولسان، يتحدث بهما على نحو ما نتحدث الآن، يتجرأون على الله، ويخالفون قولنا في ذلك الذي ننزه به الله من مثل أفعال البشر، ويريدون أن يفتنوا العامة بهذا الكلام، وإني يا سيدي أخشى أن يتجرؤوا غدًا عليك بعد ذلك، وأخشى أن يفتنوا الناس، فهم يا مولاي لم يستجيبوا لرسالتك التي أرسلتها إليهم مع عاملك على بغداد، فلم يردهم إلى رشدهم لين الكلام وسلامة المنطق، ولم يزجرهم خوفهم منك[7]"

---

[6] الخطيب المصقع هو الَّذي لا يرتج عليه، ولا يتعتع في كلامه، يريد بالخطيب الداعي إلى الفتنة، وأصله من الصقع، وهو رفع الصوت ومتابعته (غريب الحديث للخطابي).

[7] أرسل (المأمون) برسالته الأولى والتى كانت بمثابة بداية المحنة إلى بلاد ومدن أخرى كمصر ودمشق وغيرهما، ولكنه مات قبل أن يُحدث فى أمر المخالفين فى هذه الدول شيئًا، ولكنه كان قد بت فى أمر (ابن حنبل)، وطلبه شخصيًا، فاستمرت المحنة بعد ذلك على (الإمام أحمد) تحديدًا مركزة.

ونص رسالته الأولى إلى عامله على بغداد (إسحاق بن إبراهيم): "فاجمع من بحضرتك من القضاة، واقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين إليك، فابدأ بامتحانهم فيما يقولون، وتكشيفهم عما يعتقدون في خلق القرآن وإحداثه، وأعلمهم أن أمير

(المأمون): (في ضيق واستنكار) ـ"ألم يرجع منهم أحد عن غيه!؟"

(ابن أبي دؤاد): (مسرعًا وكأنه ينتظر استفسار الأمير)

ـ"رجعوا جميعًا إلا أربعة نفر"

(يسكت قليلًا، ثم يكمل بصوت فخم ضاغطًا آخر حروف كلماته)
ـ"يصرون على مخالفتك، ويلوكون معصيتك"

(شيخ 1): ـ"صحيح يا مولاي، إنهم يخالفوننا ونحن شيوخك وعلماؤك، وأولى رعيتك بالفصل في هذه الأمور، وإن هذا لأمر مكر، لا يمكن السكوت حياله، وأرى أن يفصل الأمير فيه سريعًا قبل أن يعظم أمرهم ويستشري داؤهم، فيعم فسادهم"

(ابن أبي دؤاد): ـ"أرى يا مولاي أن تعجّل بالفصلِ في أمرهم، وأن ترسل مرة أخرى إلى (إسحاق بن إبراهيم) في بغداد، فليعِد الترغيب والترهيب مع النفر الأربعة حتى يعودوا إلى رشدهم، وأن يبعَث إليكَ منهم من لم يرتدع فيذوق سوطك عله يعود إلى رشده الغائب متخليا عن خياله الساهب وراء أوهامه، والذي يحدوه حب الظهور بين الناس"

(المأمون): ـ"من هؤلاء الأربعة الذين خالفوا أمري وغرهم حلمي؟"

المؤمنين غير مستعين في عمله ولا واثق فيمن قلده واستحفظه من رعيته بمن لا يوثق بدينه، وخلوص توحيده ويقينه، فإذا أقروا بذلك ووافقوا أمير المؤمنين فيه، وكانوا >> على سبيل الهدى والنجاة فمرهم بنص من يحضرهم من الشهود على الناس، ومسألتهم عن علمهم في القرآن، وترك شهادة من لم يقر أنه مخلوق محدث ولم يره، والامتناع عن توقيعها عنده، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يأتيك عن قضاة أهل عملك في مسألتهم، والأمر لهم بمثل ذلك، ثم أشرف عليهم وتفقد آثارهم حتى لا تنفذ أحكام الله إلا بشهادة أهل البصائر في الدين، والإخلاص للتوحيد"

(شيخ 1):(سريعًا) ـ"(ابن حنبل) و(محمد بن نوح) و(القواريري) و(سجادة)، وهم من بقوا على أمرهم بعد رسالتك الأولى التي أرسلتها إلى واليك على العراق، ولعلهم غرهم لينك، وحسبوا أن يمر الأمر مر السحاب فازدادوا جرأة"

(المأمون): (باستحقار) ـ"ومن هؤلاء!؟ وما يعرفون من أمور الفقه والكلام!؟ وما عندهم من العلم والحكمة للتدبر والقول في كلام

رب البرية!؟"

(ابن أبو دؤاد): (يهز رأسه مُثنيًا على الكلام، ومكملًا) ـ"والله إن إجابة هؤلاء، وخضوعهم لك يا أمير المؤمنين لأحب إلي من مائة ألف، وعلى رأس هؤلاء ذلك الجريء (ابن حنبل) الذي يقول نصًا... جهارًا نهارًا:" القرآن كلام الله تكلّم به، ليس بمخلوق، ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمي كافر، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف، ولم يَقُل ليس بمخلوق، فهو أخبث من قول الأول، ومن زعم أن ألفاظنا به وتلاوتنا له مخلوقة والقرآن كلام الله فهو جهمي، ومن لم يُكفّر هؤلاء القوم كلهم فهو مثلهم".... فهو يكفرنا ذلك الجريء الخبيث، ويقلل من جلالنا في صدور الناس"

(المأمون)[8]: (يملي كاتبه دون أن يلتفت إليه، وقد احمّر وجهه) ـ"اكتب إلى (إسحاق بن إبراهيم)"

[8] كان المأمون ذا علم وفقه ومهتم بالفلسفة وعلم الكلام واثقًا فى نفسه ذا رأي، وهذا مما جعل إغراءه بالكلام فى أمر القرآن سهلًا على علماء المعتزلة الذين التفوا حوله، وزينوا له الأمر

(إنه من خليفة المسلمين (المأمون) إلى من أمنوا العقوبة فشردوا عن أمرنا، وجهلوا بالدين فتكلموا بما ليس لهم به علم، وتعاموا عن قول الله في كتابه: ـ**"ليس كمثله شيء"** فلا توحيد نقره لمن لا يقر بأن القرآن مخلوق، ارجعوا عن أمركم هو خير لدينكم ودنياكم... لدينكم فلا تمسكم النار، ودنياكم ألا أسومكم بعذاب، والسلام على من أجابنا إلى ما ندعوه بالحسنى قبل التنكيل)

(ثم يلتفت إلى حاجبه): ـ"اذهب فأخبر (إسحاق بن إبراهيم) بقولي، فليأتني بكل خبيث ثابت على ضلاله موثقًا في القيد، وإن لأراني أقطع (أحمد بن حنبل) هذا إربًا إربًا إن قابل وجهي وجهه"

(الحاجب): ـ"أمرك مطاع، وقولك نافذ"

ستار..

المشهد الثالث

في الطريق إلى المأمون:

الأشخاص :

أحمد بن حنبل

محمد بن نوح

الحرس الموكلون بمصاحبة (الإمام أحمد) و(محمد بن نوح).

المكان :

عانة: وهي بلدة من أعمال الجزيرة آن ذاك مشرفة على نهر الفرات، وهي بلدة تقع في طريقهم إلى طرسوس، حيث كان ينتظرهم (المأمون) حينها.

(منظر صحراوي ليلي لا يظهر فيه غير أشخاص المشهد)

الزمان: رجب-218 هـ

****

((الإمام أحمد) على أقصى اليسار جالسًا وكأنه فرغ للتو من صلاته متوجهًا بيده إلى الله متضرعًا بالدعاء.. (محمد بن نوح) يرتب بعض الأشياء في مؤن راحلته في المنتصف، وعلى اليمين يجلس الحرس متحلقون حول نار)

(أحمد بن حنبل): -"سبحانك ما أغفل هذا الخلق عما أمامهم!... الخائف منهم مقصر، والراجي منهم متوانٍ... اللهم إني أسألك بالقدرة التي قلت للسموات والارض بها: **"ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين"**.. أن تكشف عنا ما نحن فيه من غمة، اللهم وفقني لمرضاتك، اللهم إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك، وأعوذ بك من الذل إلا لك، اللهم لا تكثر لي فأطغى، ولا تقل علي فأنسى، وهب لي من رحمتك وسعة رزقك ما يكون بلاغًا لي في دنياي، وأغنني من فضلك. اللهم إنك تعلم أنك عليّ أكثر مما أحب فاجعلني على ما تحب دائمًا، واهدني سواء الصراط بفضلك.

اللهم إن قبلت عن عصاة أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- فداء فاجعلني فداء لهم بما أنا مقبل عليه وثبتني على الحق فيه. اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن المسألة لغيرك.... يا الله! يا سميع! يا مجيب! يا من لا يعلم العرش منه أين هو إلا هو، إن كنتُ أنا على الحق، فألهمني الثبات من عندك.... يا دليل الحيارى دلني على طريق الصادقين، واجعلني من عبادك الصالحين، واحشرني في زمرة الأنبياء والصديقين وحسن أولئك رفيقا... اللهم يا واسع الفضل! يا جزيل الكرم! يا مجيب كل سائل! يا قريبًا من كل محتاج! يا مفرج كل كرب!..... اللهم إني لا أحب لقاء عبدك (المأمون) فلا تقارب بيننا الأرض، ولا تُري عينه عيني ولا عيني عينه. اللهم سدد خطاي واهدني إلى سواء السبيل. سيدي ومولاي!... لقد غر حلمك هذا الفاجر حتى تجرأ على

أوليائك، وتوعدهم بالضرب والقتل، اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق، فاكفنا مؤنته"

(محمد بن نوح):(مقترباً من (أحمد بن حنبل) ببطء من خلفه، ويقرب إليه يده تارة، ثم يحجم عن ذلك تارة، حتى تستقر يده آخر الأمر على كتف (الإمام أحمد)، ثم يقول في صوت مؤثر) ـ"هون عليك يا (أبا عبد الله)، فقد أكثرت الدعاء لكريم قريب مجيب، وإن المتدبر في مصارع الظالمين والمبتدعين ليعلم علم اليقين أي منقلب ينقلبون، وفي أي وادٍ يهلكون، وأي خزي يجللهم في الدنيا قبل الآخرة، وإن هي إلا امتحاناتَ يمررها الله في أرضه، فإذا هي فلاح ونجاح للمؤمنين المجتهدين، وقطع رقاب للظالمين، وبين هذين يتواجد من يعيشون هملًا بين بين، فإن لم نكن من الصنف الأخير فلسنا من الذين باعوا دينهم كذلك"

(يسعل في عنف، فينظر إليه (الإمام أحمد) نظرة إشفاق، ثم يكمل) ـ"وحسبنا الدعاء لله بالصبر والثبات"

(أحمد بن حنبل): ـ"والله يا أخي إني لأعلم أني على الحق، وما أخشى إلا أن يفتنني السوط والقيد عن ذلك.. أما ترى ما نحن مقبلون عليه من الوعيد!؟"

(محمد بن نوح): ـ"بل أرى، ولكن **"إن مع العسر يسرا"**.. وإن الله ليدير هذا الكون بحكمة بالغة، ومن رحم الألم تولد المنح وإنها فتنة، أخذ فيها أخوتنا بالرخصة، ولم يبق للأخذ بالعزم سوانا، ولقد عزمنا أن نكمل طريقنا إلى آخره.. **"فإذا عزمت فتوكل على الله"**.. ثم ما ظنك باثنين الله ثالثهما!؟"

(الإمام أحمد):(مبتسمًا وقد انفرج بعض ما به من ضيق ظاهر على وجهه) ـ"ظني بربي جميل.. وهو حسبنا ونعم الوكيل"

(محمد بن نوح):(متنهدًا) ـ"اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد، **"وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور"** "(يسعل (ابن نوح) مجددًا في وهن)

(يغادر أحد الحراس متلفتًا، للتأكد من أن أحد الآخرين لم يرقب انسحابه إلى حيث (ابن حنبل) و(ابن نوح) وفي يده قربة ماء)

(الحارس): ـ"خذا فلترويا ظمأكما على عجل حتى أعود من حيث أتيت، فغير مسموح لنا بخدمتكم أو عونكم، ووالله ما أفعل ما أفعل الآن إلا لأنني قد أعجبني ثباتكما في الأمس، فإني لم أخَلْ يومًا أحدًا يجيب امتحان (المأمون) بغير ما يريد، فإنا قد تربينا على السمع والطاعة في الحق والباطل، وإنني لم أكُ أدري في أي شيء تمتحنون، ولعلي لا أدري إلى الآن رغم طول سماعي للتحقيق معكم، وترهيبكم بعد ترغيبكم ذلك الأمر على حقيقته، إلا أني والله لمست في وجوهكم نورًا، وفي أصواتكم ثقة، وفي مشيتكم اعتدادًا، وفي عيونكم تصميمًا فأعجبني أمركم، وأشفقت لحالكم... لا بل أشفقت لحالي أني لا أقدر على أن أحذو حذوكم، ولقد عرفت أنكم على الحق عندما علمت أن الآخرين ممن امتحنوهم معكم قد ترخصوا بمداراة الكلام ليأمنوا العقاب، وما كانت هيأتهم تشي بأن ما في صدورهم هو ذاته الذي على ألسنتهم، فسألت نفسي.. أي شيء في هذه الحياة يدفع المرء إلى أن يهلك نفسه في سبيله ما دام مؤمنًا لا يحاول أحد أن ينزع منه إيمانه!!؟؟"

(يفرغ (ابن حنبل) بعد أن كان قدم (ابن نوح) عليه فارتويا من ظمأ)
ـ"أنشد الله لكما العون" (يمد يده ليأخذ القربة)

(محمد بن نوح): ـ"جزاك الله خيراَ يا فتى، ووالله إن الله ليقذف بنور الحق على كل القلوب، فمنها من يخشع له، ومنها ما ينكر، وإنه لإيمان دون إيمان"

(الإمام أحمد) : ـ"اذهب يا فتى لا يصيبك الضرر من صحبتنا، شكر الله لك"

(الحارس): ـ"في أمان الله"

(يخطو الحارس مبتعدًا، ثم متسللًا إلى حيث يجلس باقي الحرس، يتابعه (محمد بن نوح) ببصره، ثم يعود ببصره إلى (ابن حنبل) الشارد، ثم يدب فيه الوهن فجأة، ويميل برأسه إلى الأمام في إعياء)

(الإمام أحمد):(في جزع) ـ"مالك يا أخي!!؟؟" (يسند (محمد بن نوح)، ليستلقي على ظهره)

(محمد بن نوح): ـ"إنه مرض قديم عاد ليهز أركاني منذ ليال، وأظنني في الرمق الأخير، وإني موصيك وصية، فسر على الدرب المبين، لا تجزع لقيد ولا تنفلت روحك تحت ضربات سوط، ولا يغرنك ارتفاع راية الظالمين، فوالله إنهم ليألمون أضعاف ما تألم وما ستألم.... فالوهن أول ما يدب يدب فى روح الباطل، ثم في جسد المؤمن، وإن إصابة الروح لمزمنة مهلكة، وإصابة الجسد هين أمرها، وإني لأرى شمس هذه الفتنة تتكبد السماء فيزداد حرها، ثم هي حتمًا إلى أفول، وأسأل الله أن تدرك أفولها فتقر عينك في الدنيا كما في الآخرة إن شاء الله، وإن كتب الله لك رؤية ثمار صبرك، وإني لأظنك من الصابرين إن شاء الله، فستسعد في حياتك وعساك أن تأنس في قبرك بعدئذ منعّمًا بدعوات الصالحين.. **"والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم"**

(تبدو نهاية (ابن نوح) على مظهره.. ويسعل في عنف)

(الإمام أحمد):(باكيًا ومحاولًا الابتسام) ـ"ويحك يا أخي أتتركني وحدي!؟"

(محمد بن نوح):(محاولًا الابتسام) ـ"لعل الله خشي مني جزعًا من العذاب فأراحني وأبقاك، وأرادك وحدك تكمل لحكمة، فقبل مني ما كان فاختارني للقائه الآن عنده واستبقاك، اعتصم بالله فمن اعتصم به عز، وثق أن الله لن يذرك حتى يجعل في طريقك نجومًا تدلك على صدق الطريق.. وإن أكرمك الله في نهاية أمرك، فلتدعو لي كثيرًا، ولتأت لتسلم علي وأنا في قبري.. يا (أبا عبد الله) إنك اليوم رأس، وإن الناس يقتدون بك، فلئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق من خلق الله كثير، وإن الرجل إن لم يقتلك تمت، ولابد من الموت، فثق في الله ولا تجبهم"

(الإمام أحمد): (باكيًا) ـ"ما شاء الله، ما شاء الله"

(الحارس): (يأتي مهرولًا سعيدًا) ـ"أبشرا أيها الصالحان! أبشرا!"

(الإمام أحمد): ـ"مه؟"

الحارس: (وهو يغمز بعينه) ـ"لقد استجاب الله دعاءك" (يخفض صوته) ـ"وأهلك (المأمون)، وعلمت ذلك من مارٍ مر بجوارنا أقسم على ذلك"

(الإمام أحمد): ـ"الحمد لله" (ثم يذبل وجهه)

(الحارس): ـ"خلتك ستفرح!"

(الإمام أحمد): (ينظر في حكمة إلى الأعلى) ـ"لم تتكبد الشمس السماء بعد"

(الحارس): (باستغراب) ـ"ماذا تعني؟ حيرني أمركما"

((الإمام أحمد بن حنبل) يبدو عليه وكأنه لم يسمع تعليقه، وأكمل ينظر إلى (محمد بن نوح) فجأة عقب انتهاء كلمته)

(الإمام أحمد): ـ"محمد! محمد! إنا لله وإنا إليه راجعون"
(يمد يده ليغلق عينيه الساهمتين خلف روحه)

ـ"رحمك الله، والله لأنت أول نجم في طريقي، وأسأل الله أن يعينني، وأن يجمعني بك على خير، وأسأل الله أن يزيح هذه الغمة، وأن يعينني أن أوفي بنذري تجاهك حينها، إنه على ما يشاء قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير"

سِتَار..

المشهد الرابع

المناظرة.

الأشخاص :

(المعتصم، أبو إسحاق)

أحمد بن أبي دؤاد: قاضي القضاة

الإمام أحمد بن حنبل

برغوث: من علماء (المعتصم)

شعيب: من علماء (المعتصم)

عبد الرحمن بن إسحق: أحد جلساء السلطان المتعاطفين مع (الإمام أحمد)

جلاد

جلساء للسلطان

عوام من الحضور من أهل بغداد

إسحاق بن حنبل: عم أحمد بن حنبل، واقفًا مع العوام

إسحاق بن إبراهيم: والي بغداد

المكان :

قصر الخلافة - شرقي بغداد.

الزمان:

22هـ - عقب عامين ونصف من حبس (الإمام أحمد) في سجن (المعتصم)، وذلك بعد وفاة (المأمون).

(يجلس (المعتصم) على كرسيه، ويحضر المجلس صفوة جلسائه فيهم (أحمد بن أبي دؤاد)، ويليهم الحرس، ويقف من على بعد بعض أهل بغداد ممن تمكنوا بطريقة أو بأخرى من الحضور، والمجلس لم يختلف كثيرًا عن مجلس (المأمون) إلا في الألوان؛ فقد طغى اللون الأحمر على المجلس عوضًا عن اللون الذهبي، وخاصة في الوسائد وفي النمارق الموجودة في كل اتجاه يمتد إليه النظر، هذا وإن لم يمكن من الوارد أن يمتد نظر خارج الحدث المهيب، والحوار العنيف، والتوتر الذي صار كالغيوم في المكان أمام الحاضرين)

(المعتصم): ـ"أين هذا الذي يزعم أن الله ينطق بجارحتين؟" (يدخل (أحمد بن حنبل) يمسك به حارسان بقوة، ويسير بجواره (إسحاق بن إبراهيم)، وعليه قميص أبيض وكساء أخضر، ويمسك نعليه بيديه)

ـ"أنت (أحمد بن حنبل)؟"

(الإمام أحمد): ـ"أنا أحمد بن محمد بن حنبل"

(المعتصم): (ينظر لمن حوله، ويستقر بعينه على (ابن أبي دؤاد)) ـ"أهذا الذي أخبرتموني أنه حدث السن!!؟... هذا شيخ مكتهل"[9] (يلتفت إلى (الإمام أحمد)) ـ"بلغني أنك تقول إن القرآن كلام الله غير مخلوق؟"

(الإمام أحمد): ـ"أصلح الله أمير المؤمنين، البلاغات تُزيد وتُنقص"

(المعتصم): ـ"فأي شيء تقول إذا!؟"

(الإمام أحمد): ـ"أقول أن القرآن غير مخلوق"

(المعتصم): ـ"ومن أين قلت؟"

---

9. كان عمر الإمام حينها 54 سنة.

(الإمام أحمد): ـ"قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ـ**"إن كلام الله الذي استخص به موسى عليه السلام، مئة ألف كلمة، وثلاث عشرة كلمة، فكان الكلام من الله عز وجل والاستماع من موسى"**

(المعتصم): ـ"كذبت يا عدو الله على رسول الله، وما قال الرسول شيئًا من هذا"

(الإمام أحمد):(يكمل مستطردًا) ـ"فإن الله قال: ـ**"ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين"**.. فإن يكن القول من الله، فإن الكلام من الله"

(المعتصم): (يلتفت غاضبًا مما بدا له من ثبات الإمام، وتصميمه على مواصلة مناظرته إلى (ابن أبي دؤاد) قائلًا) ـ"كلمه، وأثبت له حمقه"[10]

(ابن أبي دؤاد):(يتحدث وهو جالس مكانه بعد أن تمتد يديه لتعدل من استواء ردائه الأسود حول عنقه، وبهدوء خرج ليدل على أنه لن يستمر طويلًا، فهو يخفي خلفه غيظ وحنق بالغين ظهرا في ضغطه على أواخر حروف كلماته) ـ"يا (أحمد)! ما حججك الدامغة على قولك؟"

(ينظر إليه (الإمام أحمد)، ثم يشيح ببصره دون أن يرد عليه)

(المعتصم):(بغضب وصوت يرج المكان، يتمنى معه الصامتون المشاهدون، والذين ارتعدت فرائصهم دون أن يكونوا قد فعلوا إثمًا أن يزدادوا صمتًا، فلا يتكرر هذا الصوت مرة أخرى أمامهم) ـ"أجبه"

(الإمام أحمد): ـ"لا أعرف عنه أنه من أهل العلم فأكلمه"

---

10. كان (المعتصم) بخلاف (المأمون) غير ذي علم ولا فقه ولا تعمق في علم الكلام والفلسفة، ولكنه كان رجل سيف.

(يقوم (ابن أبي دؤاد) من مكانه، ويقترب من (الإمام أحمد)، ويميل على أذنه، ويقول بصوت مسموع)

(ابن أبي دؤاد): ـ"يا (أحمد)!... قل في أذني أن القرآن مخلوق حتى أخلصك مما أنت فيه"

(الإمام أحمد):(يبتسم ويميل إلى (ابن أبي دؤاد) الذي انتصبت هامته ثانية، ويرد بصوت أعلى قليلًا) ـ"يا (ابن أبي دؤاد)! قل في أذني أن القرآن كلام الله عز وجل، وليس بمخلوق حتى تنجو من عذاب الله"

(ابن أبي دؤاد): (منصعقًا وراجعًا إلى مكانه، ورافعًا صوته) ـ"فلتقتله يا أمير المؤمنين ولا تكثر لجاجته، فإنه مجادل جاهل"

(المعتصم): (متحدثًا بغضب، وقد نفرت عروق وجهه) ـ"وقرابتي من رسول الله –صلى الله عليه وسلم- لأضربنك بالسياط، أو تقول ما أقول"

(الإمام أحمد):(يحول نظره عن (المعتصم)) ـ"لن أقول إلا ما أعتقد من الحق، فأتوني بسند كلامكم من عند رسول الله إن وجدتم"

(المعتصم): (بوجه مُحْمَرّ صارخًا) ـ"يا جلاد!! يا جلاد!!"

(الجلاد): ـ"أمرك مطاع، وقولك نافذ"

(المعتصم): ـ"أَدِّبْه قليلًا، وأعده إلينا سريعًا عله يفيق من سكرته، فإنه لم يفق من عذاب ثلاثين شهرا بعد"

(يذهب الجلاد بـ(الإمام أحمد) مختفيًا من المجلس لدقيقة، يُسمع فيه صوت ضرب السوط)

(عبد الرحمن بن إسحاق): (يتابع (الإمام أحمد) حتى يخرج من عنده ثم يلتفت إلى (المعتصم)) ـ"والله يا أمير إن الرجل لمتفقه عالم، يحب

الرسول وسنته، وإنه لا يرى الخروج عليك، وإن هو إلا رأيه، فليشمله حلمك، وليتناوله عطفك"

(المعتصم): ـ"إن نزل عن بعض ما يقول، أعاننا على العفو عنه"

(ابن أبي دؤاد): ـ"إن تنازلت له يا أمير ظن القوم أنك تناهض مذهب (المأمون)، وسيقال أنه انتصر على خليفتين، وستكون فتنة"

(يصمت (المعتصم) قليلًا، ثم يشير إلى حارس فيذهب ليأتي بـ(الإمام أحمد))

(الإمام أحمد): (بإنهاك) ـ"ألا تسمع مني كلمة يا أمير المؤمنين!؟"

(المعتصم): (برفق وقد هاله منظر الإمام المنهك) ـ"قُل"

(الإمام أحمد): ـ"إلامَ دعا الرسول الكريم؟"

(المعتصم): (بنفاد صبر) ـ"إلى شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله"

(الإمام أحمد): (يرد بسرعة) ـ"فأنا أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، وإن جدك (ابن عباس) يقول أنه لما قدم وفد عبد القيس على النبي –صلى الله عليه وسلم– سألوه عن الإيمان فقال: ـ" **أتدرون ما الإيمان؟** " قالوا: ـ"الله ورسوله أعلم" قال: ـ"**شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تعطوا الخمس من المغنم**" وإنى والله ما حدت عن ذلك يا أمير المؤمنين"

(المعتصم): ـ "ويحك! لولا أني وجدتك في يد من كان قبلي ما

عرضت لك، أجبني إلى شيء لك حتى أطلق عنك"

(الإمام أحمد): ـ"أعطني إذا شيئاً من كتاب الله، أوسنة رسوله أتكلم به"

((المعتصم) يغضب مرة أخرى، ويشير بيده إلى الجلاد، فيسحب (الإمام أحمد) مثل ما فعل المرة الأولى)

(ابن أبي دؤاد): (يلتفت بسرعة إلى (المعتصم)، وقد هاله ما بدا من رقة واستعداد للعفو من قبل (المعتصم) تجاه (الإمام أحمد)) ـ"يا أمير! إن هذا الرجل مجادل، ولا يصلح له غير مناظرته وتقريعه، فيعود عن قوله طوعًا، أويعيده السوط كرهًا، وإنه إن يخرج منتصراً من قصرك يتجرأ الناس عليك، وتسر الركبان متحدثة بخبر ما كان من انتصاره عليكم"

(المعتصم): ـ"لا أظن السوط يصلح لمثل هذا، فأفحموه بأدلتكم إذا ما عاد إلينا بمثل ما خرج من عندنا به"

(ابن أبي دؤاد): (بجذل) ـ"هو كذلك يا سيدي"

(المعتصم): ـ"عودوا بـ(ابن حنبل)"

(يعود الحراس بـ(الإمام أحمد) يرسف في أغلاله)

(برغوث): (برفق) ـ"يا (أبا عبد الله)!... إنها والله نفسك، وقد حلف الأمير ألا يقتلك بالسيف، وأن يضربك ضرباً بعد ضرب، وأن يحبسك في موضع لا ترى فيه الشمس.. وأليس الله يقول: ـ"**إنا جعلناه قرآنًا عربيا** "؟ أفيكون مجعولًا أم مخلوقًا؟"

(الإمام أحمد): (بثبات) ـ"قال تعالى: ـ" **فجعلهم جذاذًا**"... "**فجعلهم كعصف مأكول** "... أفخلقهم؟"

(برغوث): ـ"إن رسول الله يقول أن الله خلق الذكر"

(الإمام أحمد): ـ"لقد رُوي هذا الحديث لي من طرق فيها أن الله كتب الذكر، وعامة فمادة القرآن وألفاظه ليست مخلوقة، ولكن السجل الأرضي له مخلوق"

(برغوث): ـ"روي عن (عبد الله بن مسعود): ـ"**ما خلق الله من جنة ولا نار، ولا سماء ولا أرض، أعظم من آية الكرسي**""

(الإمام أحمد): ـ"إنما وقع الخلق على الجنة والنار، والسماء والأرض، ولم يقع على القرآن"

(برغوث): (يطرق رأسه) ـ"والله إني لعليك مشفق، ولكنك عنيد... صلب الرأي، لا تعي عاقبة أمرك رغم كل ما حاق بك من عذاب"

(شعيب): (مكملًا بسرعة ومتوجها إلى (ابن حنبل) وكأن معه الحجة الأكيدة) ـ"ما تقول في القرآن؟"

(ابن حنبل): ـ"ما تقول أنت في علم الله؟؟ أعلم الله مخلوق!؟"

(شعيب يسكت، وعليه علامات الضيق)

(برغوث): ـ"يقول الله تعالى: ـ"**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون**" أيكون محدثٌ إلا مخلوق؟"

(الإمام أحمد): ـ"يقول الله: ـ"**ص والقرآن ذي الذكر**" فالذكر هو القرآن"

(شعيب): ـ"أكان الله ولا قرآن؟"

(الإمام أحمد): ـ"أكان الله ولا علم؟"

(شعيب): ـ"يقول الله: ـ"**الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل**"

(الإمام أحمد): ـ"يقول الله: ـ"**تدمر كل شيء بأمر ربها**" فكل شيئ يُدمر إلا ما أراد سبحانه"

(يسكت قليلًا ثم يكمل..) ـ"قال تعالى: ـ"**ألا له الخلق والأمر**" ففرق سبحان بين الخلق والأمر"

(برغوث): ـ"لقد عيل صبري، والله إني كنت مشفقًا عليك، وإنه لا ينفعك إلا السحل، ولا أراك تريد إلا أن تناوئ خليفتين"

(هنا يتحمس بعض الجمهور المختار لحضور اللقاء، والذين تشبعوا بكلام المعتزلة ويهتف بعضهم): ـ"إنه ضال مضل! اسحلوه!... أقتلوه!... لا تدعوه يغلب خليفتين!)

(شعيب): (ينظر إلى (ابن أبي دؤاد) وكأنه يستأذنه لمواصلة المناظرة، فيومئ له (ابن أبي دؤاد)، فينظر إلى (الإمام أحمد) مكملًا) ـ"كيف يا رجل تشبه الخالق بخلقه فيتكلم كما يتكلمون؟"

(الإمام أحمد): ـ"قال تعالى: **ـ"وكلم الله موسى تكليمًا"**.. فأثبت الكلام لموسى كرامة منه لموسى، وقال **"تكليمًا"** تأكيدًا للكلام، وهو غني سبحانه عن التأكيد، ولكن الله سبق في علمه ما يفعله أمثالكم الآن.. وأحسب أن من يقول أن علم الله مخلوق فقد كفر"

(ابن أبي دؤاد): ـ"أسكت يا حقير! أتكفرنا في مجلسنا، ونحن أعلم منك!؟ فو الله أنت المجادل في حضرة العلماء والفقهاء ولِيَنَالَنّك منا ما ستعلم بعد حين"

(الإمام أحمد): ـ"أليست أقوالي من كتاب الله؟"

(برغوث): ـ"والله ما قبلت ابتداءَ مجادلة مثلك، ولا أردت محامقتك، وهممت أن أقول لأمير المؤمنين أن يضرب عنقك ودمك في عنقي، ولكني أمسكت، ووالله لو استدبرت من أمري ما استقبلت لفعلت ما كنت قد هممت به"

((شعيب) يهز رأسه موافقًا (برغوث))

(المعتصم): ـ"اذهبوا به فأكملوا جلده حتى يثوب إلى رشده، وإلا فهو باق في القيد إلى أن يشاء الله، ووالله إنه عندي كمن أشرك بالله"

(الإمام أحمد): ـ"أحدٌ.. صمدٌ.. لا شبيه ولا عدل، هو كما وصف نفسه"

(يجر الحارسان (الإمام أحمد) إلى الخارج... فيخرج من وسط العوام (إسحاق بن حنبل) مقابلًا (الإمام أحمد) قبل خروجه)

(إسحاق بن حنبل): (بصوت خفيض يبدو فيه الخوف والاهتمام لأمر الإمام) ـ"يا ابن أخي إني دخلت على الأمير قبل مناظرتك له، فحدثته عنك، وعن معرفة بين والدي ووالده رجاء أن يعفو عنك، وقد وجدت فيه ميلًا إلى ذلك إذا ما لنت معه، وقد أجاب أصحابك، وقد أعذرت فيما بينك وبين الله، وقد حفظوا أنفسهم، وبقيت أنت في القيد والهلاك والحبس والضيق"

(الإمام أحمد): (في ثبات واصرار) ـ"إذا أجاب العالم تقية، والجاهل بجهل.." (يسكت قليلًا، ثم ينظر في عيني عمه مباشرة، ويتحدث بخليط من الإصرار والرقة) "فمتى يتبين الحق!؟"

(يطرق (إسحق بن حنبل) برأسه، ويخرج الجنود بـ(الإمام أحمد) منتصب الهامة)

ستار

المشهد الخامس

في سوق بغداد .

الأشخاص:

تاجر1 ، تاجر2 ، تاجر3 ، تاجر4 ، تاجر5

المكان: سوق في بغداد

(عدة حوانيت يمر عليها القليل من الزبائن من آن لآخر... يتوسط المشهد جلوس التجار الأربعة على جانب مدخل أحد الحوانيت الكبيرة في مجلس على الأرض مبتعدًا عن المعروض للبيع في الحانوت وأماكن وقوف الباعة والزبائن، على وسائد حمراء مخططة بالأبيض والأسود، وتحتهم سجاد رقيق بنفس اللون، وأمامهم أوان بها بعض الفاكهة، وعليهم ستار ممدد كسقف فوقهم يقيهم الشمس قائم على ستة عروق خشبية طويلة، بينما (تاجر 5) يبدو واقفًا خلفهم، مندمجًا في بعض عمليات البيع)

الزمن: 221 هـ

(هاتف يهتف أثناء فتح الستار):

ضربوا ابن حنبل بالسياط بظلمهم .. بغيًا فثبت بالثبات الأنورَ

قال الموفق حين مدد بينهم .. مد الأديم على الصعيد القَرقرَ

إني أموت ولا أبوء بفجرة .. تُصلي بوائقها محل المفترى

****

(تاجر1): ـ"ها قد مر ثلاثون شهرًا على حبس الرجل الصالح، فما لانت له قناة، والله إني لأعجب مما أسمع عن ثباته.... زاده الله ثباتًا وتوفيقًا، وقوة في الصدح بالحق"

(تاجر4): ـ"ثبات!!؟ أي ثبات؟؟ إن هو إلا رجل ضال، خف عقله وزاغ فكره، فشرد رأيه، وأراد الشهرة فنازع العلماء في علمهم، فنال ما يستحقه العبد الآبق من عقاب، فسامه (المعتصم) سوء العذاب، لعله يصبح عبرة لأولي الألباب"

(تاجر1): ـ"بل هو صاحب القدح المعلّى في هذا الأمر، وهو والله الجبل الأشم، والنجم الهادي للحيارى في الفيافي المترامية الأبعاد، ومثله ومثل غيره ممن سكتوا على ظلم الأمير وتضليله كالفرق بين الثريا والثرى، وبين التبر والتراب، إن الرجل من معدن لا يعرفه إلا قليل ممن أعطاهم الله القدرة على تمييز الخبيث من الطيب، ولو عرف (المعتصم) حقه لأجزل له العطاء ولأكرم منزله، ولكنه انحرف عن الطريق"

(تاجر2) : ـ"والله إنك لتبخس (المعتصم) حقه دائمًا يا رجل"

(تاجر1): ـ"لا والله ما أقصد ذلك، ولكني أقول الحق في موضعه وحيث يكون، وهو حتمًا ليس الحق في هذه الأمر الذي أظلنا فأغمنا، وعسى الله أن يفرج في القريب كربنا"

(تاجر4): ـ"هل تظن أنه من الأفضل أن يدع الأمير بلاد المسلمين مرتعًا لكل فكر شاذ؟؟"

(تاجر3): ـ"فكر شاذ!!؟ والله إنى لأظنك تجهل القضية التي حبس فيها (أبو عبد الله)"

(تبدو أمارات الحيرة والتلعثم على (تاجر4)...)

(تاجر3): (يضحك) ـ"نلت منك يا رجل، والله إنك لتتبع نعقة كل ناعق على جهل، ولو أن (ابن حنبل) هو الأقوى وجمهوره الأكثر لكنت معهم"

((تاجر4) يشيح بوجهه، ويلتزم الصمت)

(تاجر2): (موجها كلامه إلى 1 و3) ـ"لم تجيبا على القضية بعد.. أمن المفترض أن يسكت الأمير على تفتت الأمة؟؟"

(تاجر1): ـ"أي تفتت!!؟ أما يجوز أن يعتبر الأمير ومن معه أمثال (ابن أبي دؤاد) أن الأمر خلاف؟"

(تاجر2): ـ"ولماذا يترك الأمير في البلد خلافًا؟؟"

(تاجر1): ـ"لأن الخلاف سنة الله في أرضه.. وها نحن أنفسنا نختلف"

(تاجر4): ـ"أخال أن (ابن حنبل) قد استقر في سجنه هنيئًا يدخل عليه أهله ما لذ من الطعام، وأشعل مجالسنا بالنقاش حوله وشغلنا بذكره.."

(تاجر3): ـ"بئس الرجل أنت، والله إنك لتخال أموراً تريح بها عقلك وتطمئن بها ضميرك الميت المتعفن، ولو أنه أكل أشهى أكل الدنيا لما كان هذا نظير شيء مما يلقى من العذاب، ومع هذا فإني علمت من قريب لدى أخيه حارس على سجن الإمام أن (هارون) وهو رجل يعرف الإمام أتى له بطعام لخمس بقين من رمضان ليفطر به، فإذا الحارس ينظر في الزنبيل[11] ليفتشه فلا يرى غير رغيفين وشيء من قثاء وملح"

(تاجر4): (مشيحًا بوجهه) ـ"إن هذا لكثير على من أراد تفتيت الأمة ومنازعة العلماء"

11. الوعاء الذى يجمل فيه، وقيل القفة (لسان العرب).

(تاجر3): ـ"أنت يا هذا تتحدث بلا علم، وأنت هنا هانئ البال، والله لقد ذقت قيد بني العباس لبعض شهر، والذي نفسي بيده إنه قيد تفكيرك الذي يعجزك أوينجيك، وإن أول ليلة في القيد لتكون فيها هائمًا في فكرك، أأنت على الحق أم على الباطل، فإن ثبت في ضميرك أنك ما تزحزحت عن الحق قيد أنملة هان عليك الأمر أيما هوان، وإن اضطربت نفسك وظللت على تفكيرك لبعض الوقت، فهذا هو القيد الذي يقيد روحك، والذي تهون معه قيود الدنيا، وليخففن الله العذاب على هذا الرجل، وليثبتن قلبه على الحق رغم أنوف أمثالك"

(تاجر2): (متدخلًا بسرعة ليخفف حدة الحوار حين يجد أن (تاجر4) يتحفز للرد) ـ"والله إني لمشفق على الرجل، فإني سمعت أنه صير بين عقابين،[12] وجلد 80 جلدة في مرة واحدة يتعاقب عليه الجلادين يضرب كل منهم سوطين، ثم يتأخر مفسحًا لآخر حتى لا يألم أحدهم من ضربه، وحتى تكون كل السياط كأول سوط في الشدة، وهو يغمى عليه بين الفينة والفينة، فإذا عاد عادوا، وها هو يُعذب في حبسه لم يصبه ضوء شمس منذ 30 شهرًا، ولكني أحيانًا أرى أن ذلك كان أمرًا حتميًا.. والله إني لفي حيرة.. ولا أراه إلا يقتل نفسه بمحاولته غلب كل هؤلاء الوجهاء وأهل الحكم والرأي من حوله"

(تاجر3): ـ"حيرة!!؟ والله ما أعتقد أنك سمعت عن عذابه إلا القليل، لقد كان الأمير يقول للجلاد أدنه وأوجع قطع الله يدك، وقيل أنهم ألقوا عليه بارية،[13] وألقوه على الأرض فداسوا على موضع الضرب، وهو في ذلك صائم في بعض يومه يأتونه بالماء ليفطر فلا يوهن فيموت فيرفض، والله إن (الإمام أحمد) لجبل راسخ ضارب بجذوره في أعماق أراضي

12. العقابين: خشبتين يشبح الرجل بينهما للجلد (لسان العرب).

13. حصير.

التصميم والثبات مناطح بربوته سماء العزة والكرامة، ووالله إن الأمير لا يخاف الله، ولم يأمر جلاديه أن يخففوا عنه إلا عندما خشي هلاكه بين يديه فتثور ثائرة الناس، وهو في ذلك كله ثابت يأتيه (ابن دنقش) الحاجب من وقت لآخر يعرض عليه النزول على رأي الأمير ليخرج مما هو فيه فيأبى"

(تاجر4): (ضاحكًا) ـ"إن الناس لا يثورون، ولعل السلطان أراد أن يجعله عبرة وهو حي، حتى لا يتحول إلى بطل بموته في أذهان بعض ضعفاء القلوب وحسب"

(تاجر3): (يقوم غاضبًا من جلسته) ـ"والله لأنت من يستحق أن أحوله إلى عبرة بقبضة يدي فيكون عبرة لكل أعوج، فأمثالك عون كل ظالم ووقود كل فتنة.."

(تاجر1): ـ"هونًا عليكما، فليس هكذا يدور الحديث..."

(تاجر4): (مغتاظًا ومشيحًا بوجهه بعيدًا عن (تاجر3)) ـ"إني لأعتقد أن ذلك الشيخ يدعو صباح مساء على (المعتصم)، ولو أنه أخرجه ليقلبن الناس على الأمير.. وليثيرن الفتن وإن في حبسه لمصلحة" (يشيح بيديه عاليًا) ـ"أوليس هذا ضمن المصالح والمفاسد يا شيخنا (يقصد (تاجر1))"

(تاجر1): ـ"والله إنك لجهول يا رجل، وإني لعلمت من (أبي إسحاق) إذ قابلته ذات يوم، وهو ممن قابلوا (أبا عبد الله) في حبسه أن (أبا عبد الله) لا يحمل حنقًا تجاه الأمير ولا يقول بجواز الخروج عليه، وإنه فقط يدعو صباح مساء على أمثال (ابن أبي دؤاد)، إن الأمر لا يتجاوز تطبيق الإمام قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "**السمع والطاعة على المسلم فيما أحب أوكره إلا أن يؤمر بمعصية الله، فليس لأحد أن يطاع في معاصي الله عز وجل**"

(تاجر2): ـ"ولم لا يدعو على (المعتصم)؟"

(تاجر3): (بتهكم) ـ"لعل ذلك بسبب قرابته من النبي، أو لعله يعتقد أن علماء السلطان الذين حوله هم السبب الرئيس، وعامة سله عندما تره، وإن هذا لمما يشعل شيئًا في صدري تجاه هذا العالم الجليل"

(تاجر2): ـ"لا أعقل أن تكون هذه هي الأسباب، بل لعله خائف من أن يزيد (المعتصم) في أذاه... ولئن قدّر له الخروج من سجنه لأسألنه"

(تاجر3): ـ"أي زيادة يا رجل عن جلد الرجل الذي تكشف وسقط بعده لحمه!؟"

(تاجر4): ـ"اسكت يا رجل فإني أشمئز من ذكر مثل هذه الأمور"

(تاجر1):(مسرعًا) ـ"ولا تشمئز عندما يُذكر رجل مظلوم يُعذب مثل هذا العذاب!!؟"

(تاجر3):(ساهمًا) ـ""**ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون**""

(يقبل عليهم (تاجر5) بعد أن يفرغ من آخر عملية بيع في ليلته، فيلتفت إليه الجلوس بينما يعدل هو جبته عليه)

(تاجر5): ـ"أهلًا بمتسامري آخر الليل، أظنكم تتجاذبون الحديث ذاته الذي تتجاذبونه منذ أشهر"

(تاجر2): ـ"هو الحديث ذاته، وهل يشغل أهل بغداد غيره!؟"

(تاجر5): ـ"إني والله لألمس تعاطفا يزيد في كفة (أبي عبد الله)، أخرجه الله على خير.."

(يضحك الجميع)

(تاجر4): ـ"إنك كل يوم في شأن.. حيث يكون الناس تكون.. أما تثبت على رأي يا رجل.." (يكمل الجميع ضحكهم)

(تاجر5): (ضاحكًا) ـ"إن أمة الرسول لا تجتمع على ضلال، وإني على مثل ما هم عليه"

(تاجر3): (بجدية) ـ"تخيل أن كل أمة الرسول التي تتحدث عنها توقفت عن التفكير، وانتظرت حيث يكون الجميع، فتكون معهم.. فمن أين يأتي هؤلاء الـ(جميع)!؟" (يكمل الجميع الضحك ما عدا (تاجر 3))

تاجر5: (ضاحكًا) ـ"مالك ومالي يا رجل!؟ إن لدي عقلًا غاليًا أستثمره فيما يستحق"

(تاجر3): ـ"بل هو كومة من اللحم، ولو أمكنك بيعه لقبضت ثمنه..."

تاجر5: (مقلبًا نظره بين الجميع باسمًا) ـ"أسأكون تسليتكم الليلة بدلا عن صاحبكم؟"

(تاجر1): ـ"أنت بائع كلام محترف كما أنك بائع حبوب محترف، فإنك تميل حيث يميل المشتري..." (يضحك الجميع)

(تاجر5): ـ"هل سددنا الأفواه الجائعة التي في أعناقنا حتى أتفرغ لمسألة رجل محبوس!!؟"

(تاجر2): ـ"أفواه جائعة!؟ أما تكف عن التواضع يا رجل؟ إنك أغنى تجار بغداد.."

(تاجر5): ـ"أبعد الله عنا عينك الحاقدة.. فوالله إني لمتعثر في فتح حانوتي الجديد الخامس.. هممممم.. بل السادس... والله لا أذكر" (يضحك الجميع)

ـ" ألا أحدثكم بآخر ما دار بين زبائني؟... حمى الحديث بين اثنين فقال أحدهم: ـ"والله ليعودن (ابن حنبل) عن كبره تحت ضرب السوط طوعًا أو كرهًا" فتحمس الآخر واحمر وجهه، وعدل من إزاره، ووقف وكأنه (ابن حنبل)، وأنشد التالي:

زِيدوا عليهِ الضربَ ليسَ يَضيرُ أهلَ الثباتِ من العذابِ كثيرُ
كيدُ الطغاةِ وإن تناهى مكرُهم كسويعةٍ في الدهرِ سوفَ يغورُ
والحقّ باقٍ لا يُبَارِزُ أهلَهُ مُتسلطٌ بالسيفِ أو مغرورُ
إلا يعودُ مُجندلًا بغرورِهِ والحقّ لا يَسْطُو عليهِ الزورُ
فمآذنُ الطاغوتِ لم تبلغْ مَدَى صَوتِ الحقيقةِ بالبيانِ يثورُ
"قُل غيرُ مخلوقٍ كلامُ إلهنا ودليلُ ذاكَ الذكرَ والتفسيرُ
لم يُثنِهِ عن قولِه جَلَّادُهم أو يَعْتَرِيهِ تَرَددٌ وفُتُورُ
وإذا تثاقلَ جِسْمُه لهُنَيْهَةٍ يَحْدُوهُ عَزْمٌ تَالدٌ فَيَسِيرُ
فكذاكَ ضَرْبَاتُ السِّياطِ تَعُودُ للـ ـجَلَّادِ خَائبةً إليهِ تَمُورُ
لم يَرضَ بِالتَّرْخِيصِ تَحْتَ عَذَابِهِمْ حَتى يَرى كَنَفَ الحقيقةِ نُورُ
فالنفسُ تَأبَى أن تُقرّ بباطلٍ وَكَذَا الرجالُ فمُحْجِمٌ وجَسُورُ
سَنَّتْ مَسِيرَ العَزْمِ أفعالُ الأُلَى يَقِفُ الزَّمانُ لذكرِهِمْ ويَحِيرُ
وكذاكَ أحمدُ يستنيرُ بنورِهِمْ وهُوَ الضِّياءُ بِصَبْرِهِ والنُّورُ
لم يَتبعْ سُنَنَ الأُلَى قَدْ بَدَّلوا بالدينِ أهواءَ وهو أسيرُ
فغدا بأسرٍ في القُيودِ مُحرّرًا يَرْعاهُ رَبٌّ بِالعبادِ بَصيرُ

أمّا الذينَ لِمَنْصبٍ قَد بدَّلوا فَحِسابُهُمْ يَوْمَ اللقاءِ عَسيرُ

واللهُ حتمًا سَوفَ يَنصرُ دِينَه فاللهُ باقٍ والزمانُ يَدورُ[14]

(تاجر1): (منبسط الوجه) ـ"ما أظن أحد تجرأ على الرد على هذا الرجل.."

تاجر5: ـ"بل هو فتى يافع ربما لم يتجاوز العشرين هو من ارتجلها، وقد نال من الإعجاب ما وددت معه أن أكون أنا من قال هذه الكليمات"

(تاجر3): ـ" والله إنك لوددت ذلك ليس حبًا في الشعر، ولا حبًا في الإمام، ولكن ليزداد بيعك، فالناس أخذوا يميلون إلى (ابن حنبل).." (يضحك الجميع)

(تاجر 5): ـ"إني لم أفوت الفرصة"

(يلتفت إليه الجميع في شغف لسماعه) ـ"فقلت للفتى.. "أتحب (أحمد)؟ فأومأ أن نعم، فقلت له إنني أعرف أبياتًا قالها بنفسه وهو في محبسه، فتعجب وقال أنه لا يعرف (الإمام أحمد) شاعرًا، فأقسمت له أنه قال أبياتًا، فقال أنه سيعطيني ما معه من دراهم إن أخبرته، فأخبرته الأبيات التالية:

لعمرك ما يهوى لأحمد نكبة من الناس إلاّ ناقص العقل مُغْوِرُ

هو المحنة اليوم الذي يُبتلى به فيعتبر السنّي فينا ويسبُرُ

شجىً في حلوق الملحدين وقرّةٌ لأعين أهل النسك عفٌّ مشمّرَ

لريحانة القرّاء تبغون عثرة وكلّكُمُ من جيفة الكلب أقذرُ

[14] **كتبها للمسرحية الشاعر: أحمد الحسيني**

فيا أيها الساعي ليدرك شأوه رويدك عن إدراكه ستقصَّرُ

(يتغير وجهه ويكمل بحرج) ـ"وما أن انتهيت حتى مددت يدي، فأعطاني درهمًا واحدًا، فقلت له: ـ"ما هذا!؟" قال: ـ"هذا كل ما معي كما اتفقت معك" وانصرف!"

(يضحك الجميع بصوت عال)

(تاجر2): ـ"والله إني لأعجب من هذا الرجل الذي اختار الحبس لنفسه، واختار لنا الاختلاف والحيرة في أمره، أما وسعه أن يترفق في القول مع ممتحنيه عندما أرسل (المأمون) أول مرة إليه وأن يحذو حذو غيره، لماذا شذ عنهم وحده؟؟"

(تاجر3): ـ"لم يشذ وحده، بل رافقه (ابن نوح)، ولكنه توفي في الطريق"

(تاجر1): ـ"لقد سمعت أن (ابن حنبل) قال في محبسه لبعض من جاء من محبيه ليتوسط له:ـ"إذا أجاب العالم تقية والجاهل بجهل، فمتى يتبين الحق!؟" فقد كان الرجل إذا بين أمرين، أن يأخذ بالرخصة كما فعل من كانوا معه أول الأمر، أوأن يأخذ بالعزم.. وأكد أنه إنما سار مسير العزم خوفًا على دين الله، وإن جاز التجوز بغير ذلك لكان ذلك لغير (أحمد بن حنبل)، إن الرسالة درجتان أداء وعزم، فما حسبكم بوجود أولي عزم من الرسل!؟ وإن كانت التأدية مجزئة وتلبية إلى أمر الله فإن العزم ديدن من شرب الرسالة، فكانت هو وكان هي، وإن (ابن حنبل) لصاحب رسالة، وإن لم يكن برسول"

(تاجر2): ـ"خوفًا على دين الله!!؟؟ أوَ يضيع الدين لو كان (ابن حنبل) غير موجود!؟" (بتعجب) ـ"ما هذا الكلام!؟ ومالكم تعظمون الرجل وكأنه نبي!؟"

(تاجر1): ـ"ما قصدت ضياع الدين نفسه، ولكن ضياعنا نحن إذا ضاع الدين من صدورنا، وأصبح الحاكم كأنه نبي لنا نتبعه حيث سار.. ولو أننا ليس بيننا رجل كـ(أبي عبد الله)، لكُنا قوم شر وضلال.."

(تاجر2): ـ"لو خلنا أن (أبا عبد الله) على حق، فلمَ لمْ يسلك مسلك (عمار بن ياسر)!؟ ولمَ لمْ يسر مسيره إذ أكره وقلبه مطمئن بالإيمان!؟"

(تاجر1): ـ"علمت أنه رد على عمه (إسحاق بن حنبل) عندما جاءه ليقنعه بمثل ما تقول قائلًا: ـ"لقد نال المشركون من (بلال)، و(خباب)، و(صهيب)، و(سمية)، وغيرهم بالضرب والجوع والصهر في الشمس، فما أعطوا جلاديهم ما أرادوا وصبروا، ولم يعطِ صحابي شيئًا مما يريده المشركون إليه إلا إذا بلغ منه الجهد ما لمَ يمكن لبشري تحمله، وإني لأطيق الصبر وهو أحب إلى قلبي، ولا يعجبني غير ذلك، ثم إن هؤلاء نطقوا ما يريد المشركون وكلا الطرفين يعلم أنه كلام ظاهر غير ما يتقلب في صدورهم، وكان المشركين يقنعون بذلك، أما الآن فاستسلامي فتنة للمسلمين، فسيتوه الحق ويضل البعض ويزداد التنكيل بالعقيدة... ووالله ما يكون... والله ما يكون" فسكن عندئذ عمه، ولم يحاول معه مرة أخرى"

(تاجر5): ـ"والله إنا لقوم شر وضلال، ولعل هذه الفتنة جاءت لأجل ذلك"

(تاجر2): (ينظر إلى (تاجر5) بتعجب) ـ"منذ متى وأنت تقطر حكما!!؟" (يضحك الجميع)

(تاجر5): (بجِدّ) ـ"لقد أغار أمس ثلاثة لصوص على حانوت في أول السوق في وضح النهار، ولم يلتفت أحد لمنعهم، لقد جبُن الناس، ولو تدخلوا جميعًا لما قدر عليهم اللصوص، بل ما هو أشد، أن رجلًا فاحشًا

أغلظ القول لامرأة، وسبها في وسط السوق، وما زاد الناس على أن امتعضوا قليلًا، لقد غابت المروءة"

(تاجر2): ـ"في هذا أصبت بالفعل..."

(تاجر1): ـ"لقد التفت علماء السلطان وأتباعهم عن توجيه الناس إلى دين الله، إلى فروع المسائل، ولعل هذا هو سبب ضياع الدين من النفوس، فقد انشغلوا بـ(ابن حنبل) عن الحق قبحهم الله"

(تاجر2): ـ"هل حقًا ما سمعت من أنهم جعلوا قدميه في القيد، فصارت تثقله في التحرك!؟"

(تاجر3): ـ"علمت ذلك أيضًا، وإني لأؤكد ما قيل بأنه لولا هذا الرجل لأصابنا عار لا يزول أبد الدهر، بل إنني علمت أيضًا بأن هؤلاء الفاحشين قد سلبوه شعيرات النبي التي كان يحتفظ بها في كم قميصه"

(تاجر5): ـ"أوَ قد فعلوا!!؟ لربما فعلوا ليبيعوها.. إنها تساوي الكثير"

(تاجر1): (يمط شفتيه في ازدراء) ـ"إنهم لا يبحثون عن المال، ولا التقرب إلى (المعتصم) حتى بإرث كهذا، ولكنهم لابد شعروا بالنقص أمام ذلك الجبل الذي كان خارجه وظاهره يحمل شيئًا من النبي كما كان داخله وباطنه، وإن كانوا لا يستطيعون سلبه ما في داخله مما يعريهم أمام أنفسهم فقد لجؤوا إلى تجريده من مظهر عظمة خارجي يلتصق به"

(تاجر3): ـ"إنهم حقراء فعلًا"

(تاجر2): ـ"يا رجال إني وإن شعرت أحيانًا بالشفقة على (أبي عبد الله)، فإني أتذكر بأنه هو نفسه من لم يترك سبيلًا غير ذلك، لربما كان رأي علماء السلطان على حق، فلست فقيهًا لأميز بينهم، و(أبو عبد الله) قد التزم العند، فما السبيل!!؟"

(تاجر3): ـ"أسألك إذًا سؤالًا"

(تاجر2): ـ"سَل"

(تاجر3): ـ"ما الفائدة من تعذيب الرجل وإذلاله!؟ ألا يكفيهم اعتقاله وحجبه عن الناس!؟ إن صح ما تقول!!؟؟"

(يبدو على (تاجر2) التفكير والحيرة) ـ"إنهم فعلًا يشعرون بنقصهم في حضرته، ولا يريدون أن يشعروا بأنه ثمة من يحيا بينهم ويجهر عاليا بمخالفتهم، أيظنون أنفسهم آلهة!!؟ تبًا لهم جميعًا"

(تاجر2): (يحرك رأسه وكأنه ينفض عنها ألم التفكير العميق) ـ" على كل حال لو كنت مكان هذا الرجل، لما أخذت بالعزم –كما تصفون موقفه– في موقف كهذا لا كثير مكسب من الصمود فيه، فتضيع الأنفس فيه ولا نتيجة، ولكنت أخذت بالتقية ولحنيت رأسي للموج العالي حتى يمر، ثم أخلد في السر بعد ذلك إلى نشر تعاليمي التي أؤمن بها على من حولي"

(تاجر3): ـ" إنك لن تكون يومًا ما في مكان هذا الجبل، فلا تقلق نفسك" (يضحك)

(تاجر1): ـ"إنك بقولك أنه يضحي ويضع روحه على الهاوية في سبيل لا شيء أمر بعيد عن الصواب"

(تاجر5):(ويبدو عليه التوهان) ـ"وكيف ذلك يا مولانا؟؟"

(تاجر1): ـ"إن وقفة الإمام وصموده يفيد مسألة عامة قبل أن يكون مفيدًا لمسألة خلق القرآن خاصة، فهو يقول بذلك للأمة جمعاء، أن الحق يجب أن يتحلى بالشجاعة في كل زمان ومكان، ويخوف كل صاحب سلطان من أن يكرر مواقفه الجبروتية مرارًا، فإن ألم (ابن حنبل) مما حدث له، فإن السلطان وحاشيته ألموا كذلك، وحتما سيفكرون ألف

مرة قبل أن يقرروا مواجهة الفكر بالقيد، والرأي بالسوط، ولتوضيح هذه النقطة الأخيرة أود منكم أن تتخيلوا أنفسكم في موضع سلطان يأمر فيطاع حتى ولو كان على باطل، ما تظنون أنفسكم تصلون إليه!؟؟"

(تاجر5): (بسرعة، وبروح تفكه) ـ"والله لكنت فرضت عليهم ضرائب تقصم ظهورهم، وتعينني على إقامة امبراطورية عظيمة..." (يضحك (تاجر5))

(تاجر1): ـ"ليس هذا فحسب، وليس الأمر متعلقًا بالجانب المادي فقط، ولكان المصاب في الدين أعظم وأشد.. هذا على الصعيد العام، أما على الصعيد الخاص بالأمر، فهو بذلك يخوض حربًا لتحرير التفقه في الدين من سلطة السلطان، حتى لا يتحول السلطان يومًا إلى وسيط بين الخالق وخلقه، أو أن يسعى إلى أن ينصب نفسه حاكمًا على ما في صدور الخلق، هذا بجانب أمور أخرى كثيرة معنوية، وهذا كله بالإضافة إلى الجزء الضيق الذي تنظرون إليه -رغم أهميته- والمتعلق بالقضية ذاتها"

(تاجر2): ـ"ولكني أعتقد أنه مخطئ في قضية خلق القرآن"

(تاجر5): ـ"رغم أنني لا أهتم لهذه الأمور كثيرًا، إلا أنني لو مكان مولانا (يقصد (تاجر1)) لقمت وأوسعتك ضربًا بعصاي، فبعد كل هذه الخطبة التي ألقاها الرجل تعود إلى التمسك في نقطة واحدة!؟" (يحمر وجه (تاجر2)، ويغرق الجميع في الضحك)

(تاجر2): ـ"لقد أضاع (أبو عبد الله) عمره رغم أي شيء، وهذا شيء أحترمه فيه رغم مخالفتي لموقفه"

(تاجر3): ـ"والله لنحن من أضاع عمره؛ فغدًا نموت كما سيموت هو، وسيخلد ذكره هو وينتهي ذكرنا نحن... ووالله لهو خير منا عند ربنا"

(تاجر2): ـ"لقد اختار هو طريقه بنفسه، ولا أجد مبررًا لأقف باكيًا على خياره الذي اختاره لنفسه، وأنا مقتنع بأنه ثمة طرق للتغيير بدون تعريض النفس للخطر"

(تاجر3): ـ"لكان الرسول –أشرف الخلق– أولى بسلوك هذه الطرق، ولما سار إلى الطائف لتدمى قدماه، غدًا يخرج الإمام من سجنه فتنتشر دعوته، وينهض الحق على يديه، ويكون السجن تمحيصًا له، وإعدادًا ربانيًا قبل كل شيء"

(تاجر4): (باستخفاف) أو تظنه خارج .

(تاجر1): ـ"إن لم يخرج هو فستخرج فكرته، فتعيش من بعده، إنها سنة ربانية واحدة، ومع هذا فشيء داخلي ينبئني بأنني سأقر عيني برؤية هذا البطل حرًا طليقًا"

(تاجر3): ـ"والله إني لصرت ناقمًا على (أبي عبد الله)؛ إذ هو ضيق علينا أكثر وزادنا ألمًا فوق ألم"

(تشرئب الأعناق إليه في تعجب واضح، فيقلب عينيه فيهم، ثم يتحدث بصوت خفيض) ـ"أتكتمون حديثًا أحدثكموه الساعة كان قد دار بيني وبين الإمام وهو في ظلمة محبسه!؟؟"

الجميع: ـ"نعم.. قل ما عندك"

(تاجر3): ـ"إني تسللت عوضًا عن جندي أعرفه من جند (إسحاق بن إبراهيم) في ردائه، حتى أتيت الإمام في محبسه فأخبرته أن الأمر قد فشا وتفاقم، وأن (المعتصم) ينشر بدعته بإيعاز من (ابن أبي دؤاد) وباقي حاشيته، وقد بدأوا يفرقون بين المرئ وزوجه إذا ما تبنى أحدهما غير ما يقول به، وأنكر أن القرآن مخلوق، وأن الأمر وصل إلى أن (ابن أبي دؤاد) أخذ في تعليم الصبية في الكتاتيب أن القرآن مخلوق، وأخبرته

أنني أمثل مجموعة معي متحمسة ترى بكفر (المعتصم) ومن معه، وتدعو للخروج على (المعتصم)، حيث أننا لا نرضى بإمرته ولا بسلطانه، وإني جئت أنتظر منه أمرًا..."

(يسكت قليلًا ليجذب انتباههم)

(تاجر1): ـ"لا أظنه يوافق"

(تاجر4): ـ"ولمَ!؟ إنه رجل هرم يائس بائس ينتظر أي خيط من الضوء ليتشبث به، ولو رأى قشة لتعلق بها عسى أن ينجو مما وضع نفسه فيه"

(تاجر5): (ملتفتًا إلى (تاجر3)) ـ"تحدث يا رجل، ولا تعبث بقلوبنا.."

(تاجر3): (بغيظ) ـ"لقد سكت ساعة، ثم قال:ـ"عليكم بالنكرة بقلوبكم، ولا تسفكوا دماءكم، ولا دماء المسلمين معكم، انظروا في عاقبة أمركم، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تخلعوا يدي من طاعة، ولا تعجلوا، واصبروا حتى يستريح بر، ويستراح من فاجر" فقلت له: ـ"أننا نخاف على أولادنا إذا ظهرت هذه البدعة وفشت فيمحا الإسلام" فقال: ـ"كلا! إن الله عز وجل ناصر دينه، وإن هذا الأمر له رب ينصره، وإن الإسلام عزيز منيع""

(تاجر1): (متنهدًا) ـ"توقعت هذا الموقف منه... خاصة وأن القوة الباطشة في يد الأمير، ولا طاقة لأحد به، وإن دخلنا فيما تريد فهي فتنة فوق فتننتا"

(تاجر3): ـ"والله ما زاد إلا أن أزاد البلاء علينا جميعًا.. وما لهذا الأمر من حل"

(تاجر1): **ـ"إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"**

(تاجر): (بخشوع) ـ"رجل كهذا يعرف ما يقول!"

(تاجر3):(ينظر إلى الأخير باستغراب) ـ"أتهزأ!؟"

(تاجر5): ـ"لا بل خطف الرجل لبي، وهذه أول مرة يحدث مثل هذا.. أن أقلب رأيي في رجل بمثل هذه السرعة"

(تاجر4): ـ"ومنذ متى وأنت مستقر على رأي!؟"

(يضحك الجميع إلا (تاجر5) الذي أسهم مفكرًا..)

(تاجر4): ـ"والله ما يدعنا ذاك الرجل نهنأ، فها نحن لا يخلو مجلس من ذكره، وإذا ما بدأنا بأي حديث فإننا ننتهي به.. تبًا له!"

(يهم (تاجر1) أن يرد قبل أن يدخل عليه صبي يعمل عنده مسرعًا باشًّا موجهًا خطابه إليه)

الصبي: "سيدي! سيدي!"

(تاجر1): "ما عندك يا فتى لتقطع مجلسنا؟"

الصبي: ـ"أمر جديد يولد في المدينة.."

(تاجر1): "هات ما عندك بسرعة، فإن الأيام حبلى بكل عجيب، وإننا في هم من طول ذكرنا لمحنة الإمام (أبي عبد الله أحمد بن حنبل)"

الصبي: ـ"إن الأمر متعلق به، لقد تجمع نفر من الفقهاء فتحدثوا بأمر الإمام (أحمد بن حنبل)، ثم هموا حين اشتد غضبهم له إلى قصر (المعتصم)، فما زالوا هنالك إلى الآن منذ صبيحة اليوم، وقد تجمع حولهم العامة وأخذوا يهتفون، وسمعت بعض الناس يقولون أن (المعتصم) خشي ثورة الناس عليه واقتحامهم القصر، فاستشار حاشيته فأشار (ابن أبي دؤاد) عليه بأن يبقيه في السجن، وأن يتجاهل العامة،

وقد وصفهم على أنهم (حشو الأمة)، وقد سخط (المعتصم) على هذا الاقتراح، ونادى على (إسحاق بن حنبل) عمّ الإمام، فأخبره أن يسلم الناس (ابن حنبل)، وأن يخبرهم أنه قد سلمهم إياه حيا معافًا، ولولا وساطة عمّ الإمام وقوله وتلطيفه للناس، وما خلعه الأمير عليه من رداء، لهموا إلى القصر فدخلوه .. وها هو الإمام خرج منذ قليل منحدراً إلى وسط المدينة في جموع من الناس تسد الأفق، وعليه مبطّنة وقميص وطيلسان وخف وقلنسوة مما ألبسه السلطان، ما خرج إلى الناس بها حتى خلعها، وأمر بعض من أقاربه ببيعها وتفريق ثمنها على الفقراء"

(تاجر1): ـ"هلم بنا إليه.. الحمد لله الذي أفاق الناس من غفلتهم فقويت شوكتهم، الحمد لله الذي رزق (الإمام أحمد) الصبر على المحنة.. والله وكأني به قد أدخله الله الكير ليخرج ذهبا أحمرَ ناصعًا"

(تاجر4): (ماطًا شفتيه) ـ"أتظنون أن (المعتصم) ينزل على رأي بعض المتحمسين المندفعين!!؟ والله ما حبس (ابن حنبل) إلا لرأي، وما أظنه يخرجه إلا برأي من عنده لا من عند الناس، ولعل (أحمد) قد عاد عن رأيه وتاب"

(تاجر3): (متجاهلا (تاجر4)) ـ"والله إني لمستبشر خيراَ بأن نفض الناس العمى عن قلوبهم، فهبوا لنجدة الحق" (يوجه رأسه ناحية (تاجر1)) ـ"وإني لذاهب معك لملاقاته"

تاجر5: (بصوت خفيف) ـ"إني ذاهب معكم..."

(تلتفت الأعين إليه فيستدرك) ـ"إني فقط أريد أن أشهد اجتماع الناس في المدينة..."

(يبدو عليه الجد والألم والضيق، وينظر إلى الأرض) ـ"وإن له عندي حق لابد أن أؤديه أمامه..."

(تاجر3): ـ"وما هذا الحق؟؟"

(تاجر5): ـ"لقد قابلت (الإمام أحمد) في سجنه يومًا و..."

(يسكت فجأة) ـ"لا شيء! لا شيء!..."

(تاجر3): ـ"أنت أيضًا قابلته؟" (مبتسمًا قليلًا) ـ"وماذا يا رجل أكمل!؟"

(تاجر 5): ـ"...."

(تاجر1): ـ"هيا بنا، لا وقت للحديث الآن، لا ندرك المشهد المهيب"

(يخرج التجار الثلاثة والصبي مسرعين)

ستار

المشهد السادس

(الواثق):

الأشخاص:

أبو جعفر هارون بن المعتصم (الواثق)

ابن أبي دؤاد

ابن حنبل

عمار:

حاجب الواثق

المكان :

في قصر الواثق

الزمن:

ربيع الأول عام 227 هـ، بعد أن مكث (الإمام أحمد) يتدوای في بيته منذ إخراج (المعتصم) له عام 221 هـ.

ناشد ينشد قبل فتح الستار:

جزى الله رب الناس عنا ابن حنبل وصاحبه خيراَ إذا الناس أحضروا

سمي نبي الله أعني محمدًا فقل في ابن نوح والمقالة تقصر

سقى الله قبراَ حله ما ثوى به من الغيث وسمياَ يـروح ويُبكر

هما صبرا للحـق عنـد امتحانهم وقاما بنصر الله والسيف يقطـر

دُعوا فأبوا إلا اعتصاما بدينهم وأجلوا عن الأهلين طراَ وسيروا

إلى البلد المشحون من كل فتنة وفي السجن كالسراق ألقوا وصيروا

فما زادهم إلا رضًا وتمســكًا بدينهم والله بالحـق أبصــر[15]

****

15. أبيات منسوبة لـ(أبي بكر المروذي).

(يجلس (الواثق) وحوله حاشيته، ويوجه كلامه لـ(ابن أبي دؤاد)... يتوزع حراس في أرجاء المكان، وحول (الواثق))

(الواثق): (ساهمًا وكأنه يكلم نفسه) ـ"لعلي لم أرث أثقل من أمر (ابن حنبل)"

(ابن أبي دؤاد): ـ"ولم يا مولاي!؟ إن أمره لا يستحق"

(الواثق): ـ" إن الرجل يزداد ثباتًا، ولا أظن أن ثمة أملًا ليرجع عما هو فيه، وهو مع هذا يلهم العامة بموقفه، ولعل هذا هو العائد الوحيد من حبسه، ثم هو رجل ورع تقي"

(ابن أبي دؤاد): ـ"إني لا أحسبه تقيًا، بل هو مدعٍ للبطولة.. جاهل"

(الواثق): ـ"إني أحار في أمره حقًا... إن خطره كبير إذا تركناه، وحمله ثقيل إن حبسناه وقيدناه كما فعل من كان قبلي" (يسكت وكأنه يفكر قليلًا، ثم يلتفت إلى أقرب الحرس إليه قائلًا بحسم) ـ"هل أتيتموني به؟"

الحارس: ـ"نعم يا سيدي.. أنحضره بين يديك يا مولاي؟"

((الواثق) يشير بيده لإحضاره، فيدخل (الإمام أحمد) رافع الرأس)

(الإمام أحمد): ـ"السلام عليكم يا أمير المؤمنين"

(الواثق): ـ"لا سلَّم الله عليك"

(الإمام أحمد): ـ"بئس ما أدبك مؤدبك.. قال تعالى: ـ**"إذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها"** والله ما حييتني بها ولا بأحسن منها"

(ابن أبي دؤاد): (يتحدث إلى (الواثق)) ـ"إنه رجل متكلم، يريد أن يُقرع بالحجة"

(الواثق): (يرفع أحد حاجيبه ومتحدثًا إلى (ابن أبي دؤاد))

ـ"كلمه إذًا"

(ابن أبي دؤاد): (متوجهًا إلى (الإمام أحمد)) ـ"ما تقول يا شيخ في القرآن؟"

(الإمام أحمد): ـ"لم تنصفني، ولي السؤال.."

(ابن أبي دؤاد): ـ"سل!"

(الإمام أحمد): ـ"ما تقول في القرآن؟"

(ابن أبي دؤاد): ـ"مخلوق"

(الإمام أحمد): ـ"هل هذا شيء عَلِمَهُ النبي -صلى الله عليه وسلم- و(أبو بكر)، و(عثمان) و(علي)، أم شَيء لم يعلموه؟"

(ابن أبي دؤاد): ـ"شيء لم يعلموه"

(الإمام أحمد):(بنصف ابتسامة) ـ"سبحان الله، شيء لم يعلمه رسول الله، ولا (أبو بكر)، ولا (عمر)، ولا (عثمان)، ولا (علي).. علمته أنت!!؟"

(ابن أبي دؤاد):(يسكت خجلًا مما أوقعه فيه (الإمام أحمد)، ثم يكمل) ـ"لعلهم علموه، ولم يحدثوا الناس به.."

(الإمام أحمد): ـ"ألا وسعك ما وسعهم!؟"

(يرمق (الواثق) (ابن أبي دؤاد) بنظرة قوية، ثم يلتفت بعصبية إلى (الإمام أحمد))

(الواثق): (للإمام أحمد) ـ"أما غيّر قيد من كان قبلي وسجنهم وسوطهم من حال عقلك!؟"

(الإمام أحمد): ـ"عقلي بخير حال، فسجنهم أتاح لي التفكر، والتفكر مصفاة للذهن من شوائب الباطل، ومطهرة للنفس من دنس النوازل، ولو كان غيّر بي شيئًا لكنت دعوت الآن بدعواكم الباطلة"

(الواثق): ـ"إذا لن تكف عن دعواك!!؟"

(الإمام أحمد): (مثبتًا عينه على (الواثق)) ـ"لو أنني علمت من كتاب الله وسنة رسوله غير ذلك لقلت به"

(الواثق): ـ"لقد اخترت ما حدث لك إذًا طواعية، وتتمنى لو أننا نعيد الكرة بعد أن ارتاح جسدك قليلًا واسترد جزءاً من عافيته، ولعل أذنك تطرب بذكر الناس لصمودك"

(الإمام أحمد): ـ"إن الأمر إلا لله، يفعل ما يشاء ويختار وكل شيء عنده بمقدار، وهو وحده المطلع على سرائر النفوس، لا تخفي عليه خافية سلطان أو من يسوس"

(الواثق) : ـ"ما جرأك على التحدي؟"

(الإمام أحمد): ـ"والله ما سعيت إلى ما أنا فيه، ولكن غيري سعى، ولو أنكم تتركون الناس وما يعتقدون لما حدث ما حدث"

(الواثق): ـ"لا أراك تريد الكف عن مطاولتنا"

(الإمام أحمد): ـ"والله ما الأمر بذاك، ولكنه الحق أصدح به خشية أن يمسني عذاب الآخرة إن سكتّ"

(الواثق): ـ"اسمع أيها الشيخ الفاني قولي... إني سأطلق سراحك الآن، ولن أعيد ما فعله بك من كنت في أيديهم قبلي على ألا أسمع عنك بواد

تحدث قوماً عن شيء، ولا تساكني بأرض، ولا أريد أن يصلني من أمرك شيء، فأعمك بعذاب وخيم.."

(يلتفت إلى حاجبه) ـ"فك قيده يا (عمار)، فما لنا في سجنه حاجة"

((عمار) الحاجب): ـ"أمرك يا سيدي"

(ينحني لكي يفك القيد من رجل (الإمام أحمد)، فيمد الحارس يده ليأخذه، فيمسك به (الإمام أحمد)، ويقربه إليه..)

(الواثق): (بتعجب) ـ"لمَ جاذبت الحداد إلى القيد!؟"

(الإمام أحمد): (بخشوع) ـ"أريد أن يكون بيني وبين كفني إذا ما مت، فيشفع لي"

(يطرق (الواثق) في تأثر)

(الواثق): ـ"أعطه يا (عمار) أربعمائة درهم... وأنت يا (أحمد) الزم ما أمرتك به ولا تعدوه"(ثم يشير إلى (عمار) بيده ليخرج به)

(يخرج (الإمام أحمد)، ويلتفت (الواثق) إلى (ابن أبي دؤاد))

(الواثق): (بتهكم) ـ"أمر لم يعلمه الرسول، ولا (أبو بكر) ولا (عمر)، ولا (عثمان)، ولا (علي)، وعلمته أنت!!؟"

(يطرق (ابن أبي دؤاد) ببصره إلى الأرض)

ستار

المشهد السابع

الإقامة الجبرية:

الأشخاص:

الإمام أحمد

أبو محمد بن فوران: (أحد أصحاب الإمام المقربين).. وهو (تاجر 1)

صالح بن (الإمام أحمد)

يعقوب (أحد حجاب (المتوكل) والمشهور بـ(قوصرة))

أبو علي بن حنبل(أحد أقارب (الإمام أحمد))

المكان: بيت إسحاق بن محمد بن فوران ببصرى (إحدى قرى بغداد).

الزمان :

7 من ذي الحجة-232 هـ

****

(يرقد (الإمام أحمد) على جنبه، وابنه صالح بجواره، ويأتيهم (أبو محمد بن فوران) بإناء به طعام)

(أبو محمد بن فوران): (مقبلًا على (الإمام أحمد) حتى يستقر جالسًا بجوار فراشه) ـ"كيف حالك الآن يا إمام؟ أوجدت شيئًا من الراحة؟ لقد ثقل عليك المرض في حبسك في منزلك لا تبرح ولا تحدث الناس فتفيض علمًا، وقد كنت تحسنت كثيرًا قبل أن يلي (الواثق) الإمارة"

(الإمام أحمد): ـ"ليست الدنيا بدار راحة، وإن راحة المؤمن عند أول قدم يضعها في جنة الرحمن، وإني ليؤلمني طول المكث بعيدًا عن المسجد وتعليم الناس"

(صالح بن الإمام أحمد): ـ"جعلنا الله وإياك من أهل الجنة، وجزى الله (أبا محمد) خير على إيوائك هنا، ولو علم السلطان بمقامك هنا بالقرب منه لعاد الأذى من جديد"

(بن فوران): ـ"والله إني لآنس بك يا (أبا عبد الله)، ولأحببت دوام مقامك معي..."

(الإمام أحمد): (باسمًا) ـ"الدنيا دار عمل، والآخره دار جزاء، فمن لم يعمل هنا ندم هناك، وإني آلم بالسكون ما لا آلم بالحركة.... ولعل الهم ينزاح قريبًا"

(ابن فوران): (مومئًا برأسه موافقًا، ثم مكملًا) ـ"أخشى ما أخشاه أن يدرك (الواثق) أمر اختبائك هنا، فيعود إلى ما انقطع" (يخفض صوته، ويطأطئ رأسه) ـ"من تعذيبك، وها أنا ذا أقيم معكم لا أخرج منذ أربع ليال خشية انفضاح الأمر، فقد انبسطت ملامح وجهي بوجودك، وإني لأشعر وكأن كل أهل المدينة يقرؤون ما بداخلي من قسمات وجهي

التي تشي بما في داخلي، ولما شعرت بكثرة الكلام وشك الناس بأمري كمنت قليلًا، وأمر آخر سمعت به تتحدث به العامة"

(الإمام أحمد): ـ"ما ذاك؟ فما هم من لا هم لهم غير الحديث!؟"

(ابن فوران): ـ"يتناقلون أن تاجرًا وشا إلى الإمام أنك تحبس علويًا في دارك حيث تقيم، وأنك تنتظر أن تُخرجه، وأن تبايع له"

(الإمام أحمد): ـ"لا توجس يا أخي.. إن الحاكم إذا ظلم خاف، وإذا خاف نشر الكذب ليستقوي به ويستقوي به ذوو النفوس الضعيفة معه، وإن الأمر إذا بلغ ذروته لان، فلا عود إلى العذاب، فإن الراحلة إذا ما ارتقت القمة فهي حتمًا إلى الوادي الخصيب أقرب، وإن شمس الصيف إذا ما تكبدت السماء على المسافر أوشكت على المغيب تاركة لهم ليل لطيف النسائم، وإن أمر الفتنة اشتد حتى استوى، ثم هو يلين، ولا أظن إلا انفراجة المولى قريبة"

(ابن فوران): ـ"ليت لي معشار اطمئنانك يا (أبا عبد الله)"

(الإمام أحمد): ـ" إذا استُحضر الأجر.. هان الأمر"

(ابن فوران): ـ"حدثنا يا إمام عن أكثر ما ثبتك في أمرك"

(الإمام أحمد): ـ"ما ثبتني أمر كأعرابي لقيني، فقال لي: يا (أحمد) إن يقتلك الحق تمت شهيدًا، وإن تعش تعش حميدًا"

(صالح): ـ"رأيتك باشًا يا أبت يوم أن مات (المعتصم) وقبل أن يلي ابنه، أكان ذلك فرحة منك بانتقام الله؟"

(الإمام أحمد): ـ"والله ما كان ذاك لذاك، ولكنه بلغني أنه رجع عن قوله في خلق القرآن قبيل موته، فبششت لذلك واستبشرت"

(ابن فوران): (متعجبًا) ـ"أما تحمل في داخلك غيظًا تجاهه؟؟ خلتك تحيي ليلك بالدعاء عليه لما ناله منك"

(الإمام أحمد): ـ"الحياة أقصر من أهتم لأمر رجل فيها، وإني والله عفوت عنه، ودعوت الله أن يهديه للحق"

(ابن فوران):(مستغربًا) ـ"أوَ ذاك موقفك من (ابن أبي دؤاد) أيضًا؟"

(الإمام أحمد): ـ"لا، فإن (أبا إسحاق)[16] يغتر بسحرة القول من حوله، وإن المغتر يهتدي، والمغرر لا يهتدي، فإن ضل (المعتصم) فإن (ابن أبي دؤاد) ومن على شاكلته هم المضلون، ووالله إني رأيت في عيني الرجل علما بالحق وإعراضًا عنه، فسألت الله ألا يهديه بما أضل الناس، وبما كذب على الله ورسوله..." (يسكت قليلًا، ثم يكمل) ـ"إن الناس راشد وضال وغاوٍ.. والأخيران ليسا شيئًا واحدًا، فبينهما أرض واسعة"

(ابن فوران): ـ"صدقت في ذاك، فوالله ما كان لأمير أن يستقوي إلا إذا ما زينوا له الباطل، وحرفوا الكلم عن مواضعه ليغروه بمنهجهم"

(صالح): ـ"بئس الرجال من باعوا دينهم لدنيا غيرهم"

(ابن فوران): ـ"ولدنياهم كذلك.. فإن (ابن أبي دؤاد)[17] من أغنى أهل المدينة.. ووالله إني لسألتك عن هذا تفصيلًا لأرد به على تاجر أعرفه طلب مني أن أسألك لماذا لا تحمل في صدرك ضغينة على (المعتصم) ورجاني أن أبلغه في مروري عليه في السوق بجوابك..." (يسكت قليلًا) ـ"ولكن يا (أبا عبد الله) كيف رأيت خروج الناس ومناداتهم بإخراجك؟"

---

16 (**المعتصم**).

17. شغل (ابن أبي دؤاد) مناصب واسعة النفوذ فى عهد كل من (المأمون)، فـ(المعتصم) فـ(الواثق).

(الإمام أحمد): ـ"رأيته دليل خير وبركة لهم، فإن الأمة إذا بعُدت عن دينِ الله ابتليت، فإذا زاد ضلالها، تعاقبت الفتن عليها، فإذا استفاقت شبرًا، بارك الله لها ذراعًا، فإذا خرج الناس عن خضوعهم للدنيا، وخوفهم من بطش الظالمين، أزال الله الغمة عنهم، وإني أرى سحابة الفتنة مولية إن شاء الله"

(صالح): (يتنتحنح ثم يتحدث) ـ"يا أبت إن لرجل حاجة يطلبها منك"

(الإمام أحمد): ـ"إن أقدر ألبي، فماذا يريد؟"

(صالح): ـ"لقد قابلني يوم خرجت من عند (المعتصم) في الطريق يريد النفاذ إليك، فأبيت خوفًا عليك من تدافع المحبين وبك شيء من الوهن، فأقسم على أن أسمع منه، فلما أصررت في صده قال إنه قد حضر جلدك وضربك، ولم يعن على أحدهما وإنما حضر ونظر ولم يدفع عنك، وأنه يستحلفك أن تجعله في حل وأن تعفوا عنه، وطلب مني إن أنت جعلته في حل أن أرسل إليه من يبشره، وأخبرني بمكانه في السوق، وهو تاجر موفور البضاعة مشهور"

(الإمام أحمد): (مطرقًا قليلًا قبل أن يتحدث) ـ"هو في حل إن تاب"

صالح: (مسرعًا) ـ"لقد أقسم إنه تاب"

(الإمام أحمد): (مكملًا بروية) ـ"كل من ذكرني في حل الا مبتدع... قال تعالى: ـ**"فمن عفا وأصلح فأجره على الله"** وقد حدثني من وصله قول الحسين: ـ"إذا جثت الأمم بين يدي الله عز وجل رب العالمين يوم القيامة نودوا: ـ"ليقم من أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا" وقد أخبر جبريل النبي تفسير قوله تعالى: ـ**"خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين"** أنه أمر من الله أن يصل من قطعه، وأن يعطي من حرمه، وأن يعفو عمن ظلمه. وإن تاب هذا التاجر فقد علم إذا أنه

دعم الظلم بسكوته وحضوره الظلم، وعدم إنكاره وقبوله به، وأنه بهذا كان من أعوان الظالمين، وكفى أنه لم يخدع نفسه باقناعها بأنه لم يقترف إثمًا إذ لم يحض على التعذيب بنفسه، وإنما كانت نفسه صريحة معه، وحسبه ما شعر به من ألم"

(صالح): ـ" جزاكم الله عنه خيرًا، فقد وجدت الرجل مهمومًا بحق، وإني لأظنه أحد من تاب بفضلك عما أضله به المبتدعون"

(الإمام أحمد): ـ**"قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء"**

(صالح): ـ"إنه تاجر محبوب مشهور في السوق، وسأرسل إليه من يبشره بعفوك عنه"

(ابن فوران): (ناظرًا إلى صالح) ـ"أنا أكفيك هذا الأمر فأنا أعرف هذا التاجر" (يلتفت إلى (الإمام أحمد) كمن تذكر شيئًا فجأة) "كيف كنت تصلي في السجن وأنت في قيدك يا (أبا عبد الله)؟"

(الإمام أحمد): ـ"كان قيدي واسعًا فكنت في أثناء الوضوء والصلاة والنوم أخلعه، فإذا قضيت إحدى هذه الثلاث عدت فوضعته في ساقي، وكنت أصلي بالمسجونين آنذاك، وكان الله يعمي عني عيون جند (المعتصم)"

(ابن فوران): ـ"وما أكثر ما آلمك فيه؟"

(الإمام أحمد): ـ"شعيرات النبي التي انتزعوها مني، وكانت في كم قميصي"

(ابن فوران): ـ"يا إمام إني سمعت عنك أمرًا عجبت له بعد أن أخرجك (المعتصم)، وقبل أن يقيد (الواثق) حركتك؟"

(الإمام أحمد): ـ"ماذا؟"

(ابن فوران): ـ"علمت أنك كنت تعيد صلاة الجمعة إذا رجعت إلى منزلك بعد أن تصليها مع الجماعة"

(الإمام أحمد): ـ"إنما تؤتى صلاة الجمعة لفضلها، والصلاة تعاد إذا كانت خلف من يقول بمقالة السوء بخلق القرآن"

(يتحرك (الإمام أحمد) في فراشه فيئن من الألم.. يقوم (ابن فوران) وكأنه يقوم بعمل شيء، ثم ينادي على (صالح) ليساعده، ثم يبدأ في الحديث إليه بصوت منخفض كي لا يصل إلى (الإمام أحمد)...)

(ابن فوران): ـ" صحة الإمام لا تتحسن سريعًا، فما أخبرك به المعالج حين اختلى بك أمس؟ وكيف حال الإمام؟ فإني لم أرَ من جسده شيئًا، فلم أكن موجودً ا حين كشفه الطبيب انصياعًا لحياء الإمام"

(صالح): ـ"قال أنه رأى من الضرب الشيء العظيم، ولكنه لم يرَ مثل ما رأى على أبي شيئًا مثله قط، وقال إن هذا لضرب التلف، وقال إن هذا من جر الجلادين عليه من أمامه ومن خلفه، وكأنما يريدون قتله..." (يصمت قليلًا، ويتحدث بألم وهو مطأطئ الرأس) ـ"كلما أتذكر صوت أنينه عندما جئت لأحتضنه أول خروجه من عند (المعتصم) وهو الصابر المتحمل، يكاد ينفطر قلبي..." (يرفع بصره نحو (أبي محمد بن فوران)) "...لما كشف الطبيب الذي أتينا به من البصرة عن جسد أبي أول مرة جاءنا منذ أعوام رأيت ما لم أكن أتخيل، ولم أكن أظنه سيبرأ، إن ضربة واحدة تفلتت من جسده، وطالت أذنه فقطعت بعض جلده وأنتنته، بل إن الطبيب اضطر لقطع بعض جلده بسكين لما مات هذا الجلد، وأوصى الطبيب بأن نستعمل حجامًا، وأن نصب على جسده الماء الساخن ليهدئ من ألمه إذا ما اشتد عليه، وأنا من طلب الاختلاء بالمعالج، وطلبت منه أن يعدّ الدواء هنا في المنزل، وليطلب ما شاء من المواد نحضرها له وألا يستخدم شيئًا جاهزًا أحضره، فإني والله خشيت

أن يدس له (ابن أبي دؤاد) البئيس شيئًا من السم في علاجه ليرتاح منه، ولقد جادلني المعالج في ذلك، فأصررت"

(ابن فوران): (مومئًا برأسه) ـ"حسنًا فعلت"

(صالح): (مكملًا) ـ"ثم طمأنني على صحته عامة، وقال أنه يتحسن، وأنه سيسترد شيئًا من عافيته مع الوقت رغم أن الآلام لن تنتهي، وإنما ستهدأ قليلًا عما هي عليه"

(ابن فوران): ـ"لم أكن أدري كيف كان لنا أن نقنع الإمام بالاستكانة في البيت، والاستسلام لكلام المعالجين لو أن (الواثق) لم يحدد إقامته"

(صالح): ـ"إنها تدابير الله، وإن من تدابيره مساعدتك لنا وتعريض نفسك للخطر"

(ابن فوران): ـ"لا تقل ذلك، فإني والله أحب الإمام، وألتمس في خدمته الأجر...." (يتغير صوته فجأة إلى التأثر) ـ"...أعلمت شيئًا جديدًا عن التاجر (أحمد بن نصر الخزاعي)!!؟"

(صالح): (يسكت قليلًا) ـ"نعم، لقد استشهد بين يدي (الواثق)، بعد أن دعا (الواثق) من دق عنقه بين يديه بسبب تمسكه بالقول بأن القرآن غير مخلوق، ووشاية البعض عن تورطه بمحاولة لقتل السلطان بسبب محاربته للسنة... وقد امتحنه (الواثق) في خلق القرآن، فثبت على رأيه، وقيل أنه لو كان تنازل لعفا عنه، ما سمع عن وشايته وقد سمعت هذا الأمر من حديث دار بين اثنين بجوار الدار، وكان الذي يتحدث يُعلي

صوته، وكأنه يريد إسماعي، وصوته غليظ مشين، وسمعت أيضًا أن (الواثق) صلبه"[18]

(ابن فوران): (دامع العين-منتحبًا) ـ"غفر الله له، لقد كان من أقرب الناس إلى قلبي في السوق، ولطالما جالسته متحدثين عن الإمام وحاله، والفتنة التي أظلتنا قبل أن يخرج الإمام من سجنه، كان شديد الحماسة لدينه، شديد الغضب من عبث السلاطين بأمر السنة، من الأمّارين بالمعروف... لقد جاد بنفسه....أسأل الله أن يعفو عنه، وأن يتقبل منه، وأن يجيزيه خير الجزاء، وأن يكتبه في الشهداء...ولعل المتحدث الذي سمعت تاجر صديق شمت في موت صديق، فجاء يُفْجِع صديق بصديقه.. وكنت أنا المقصود بالسماع... إن الإنسانية طلقت قلوب قوم، فلا قرب بينهما بعد ذلك، وكما قيل:ـ"تحدث للناس أقضية بقدر ما استحدثوا من فجور، وأحيانا أرى أننا نستحق ما نحن فيه.."

(صالح): ـ"...."

(صوت طرقات على الباب..)

(ابن فوران): (ملتفتًا بسرعة إلى الباب، وبقلق شديد) ـ"من!؟؟"

(الطارق): ـ"أنا (أبو علي بن حنبل)"

((بن فوران) يفتح الباب، فيدخل (قوصرة)-أحد حجاب (المتوكل)- ومعه بعض الجند مع (أبي علي ابن حنبل).... يقلب

---

18. قيل أن (الواثق) أطلق كل من سجنهم بسبب القول بأن القرآن كلام الله، وأنزل (أحمد بن ناصر الخزاعي) من الصلب قبيل موته، وقيل أن من الأسباب مناظرة تمت أمامه بين أحد القائلين بأن القرآن كلام الله و(ابن أبي دؤاد)، أقام فيها الرجل الحجة على (ابن أبي دؤاد) وأثبت ضلاله أمام الأمير.

(ابن فوران) و(صالح) بصريهما بين (أبي علي) وبين (قوصرة) في تعجب)

(أبو علي): (موجهًا حديثه لـ(ابن فوران)) ـ"لا ترع، فإن (المتوكل) يطلب الإمام"

(ابن فوران): (ببطء) ـ"المتوكل!! أوَ مات (الواثق)!؟"

(أبو علي): (ضاحكًا) ـ"ألا تحيا في هذه البلدة يا رجل!؟... لقد مات أمس، وولي (المتوكل)، وهو يطلب الإمام الآن .."

(يظهر القلق على وجهي (صالح) و(أبي محمد بن فوران)، فيتدخل (قوصرة) في الحديث)

(قوصرة): (بملامح جامدة وفي يده كتاب.. يخطو خطوات ليقترب من (الإمام أحمد) المسجى على فراشه، ويوجه حديثه له) ـ"لقد صح عند أمير المؤمنين براءتك مما رفع إليه عنك، وإنه يطلبك الساعة" (يناوله أحد الغلمان صرة من المال) ـ"وهذا مال كتبه لك لتستعين به"

(الإمام أحمد): ـ"الحمد لله الذي كشف الغمة، وأعز الحق وأهله... أما لقيا الأمير فأنظرني أتجهز له وألحق بك، وأما المال فلا حاجة لي إليه، فاشكر مُرسلك"

(أبو علي): (يقترب مسرعًا إلى (الإمام أحمد)، ثم يحدثه بصوت خفيض) ـ"يا (أبا عبد الله) اقبل من أمير المؤمنين ما أمر لك به، فإنك إن رددته خفت أن يظن الرجل بك سوءًا، فاقبله ثم لتصرفه فيما أحببت"

(يسكت (الإمام أحمد)، فيتقدم (إسحاق) شاكرًا (قوصرة) والأمير، ومتلقيًا المال منه..)

(قوصرة): ـ"إنا في انتظارك في الخارج يا إمام بركاب معدّ لك"

(يخرج (قوصرة) وجنوده)

(ابن فوران): (ملتفتًا بسرعة إلى الإمام باسمًا) ـ"والله لولا أنك يا إمام ما برحت مكانك هذا لعام لشككت أنك علمت أمرًا حين أخبرتنا بقرب انتهاء المحنة وانكشاف الغمة"

(الإمام أحمد): (باسمًا) ـ"إنها سنن الله في كونه: **"فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم"** إن البلاء لا يعم خارج الأمة إلا إذا نخر السوس داخلها، فتكسرت دعائم عقيدتها، وهوت ركائز أخلاقها ومروءتها، فأصاب ما أصاب من أفئدة تائهة وعقول ضالة شاردة، فإذا الأمة أطلال بعد عمار، وإذا النفوس مفلسة بعد يسار، وإذا شأنها يهوي في بئر ما له من قرار. وإن الليل إذا اشتد كحله قرب فجره، وإن الناس إذا ابتعدوا عن طريق الله وخالفوا أمره واتبعوا المهلكات عمهم الله بفتن من عنده حتى ينتبهوا، وإذا وعوا الحق وعزموا على سلوكه كافأهم الله، فيسر لهم الطريق ورفع عنه الضباب، وأكرمهم بحسن تدبيره وبتيسير الأسباب، وإلا ظلوا في تيههم يعمهون، وانقلب الأمر عليهم يزداد شدة فيزيد ذلك في بؤسهم فإذا هم ضالون.[19] وإني لمست الليل اشتد كحله بعد أن تقادم عهده، ولمست الناس تحمل في صدورها نارًا تتأجج تريد حرق بدع الولاة، وسيوفًا

19. جدير بالذكر أن الأمة غرقت في خلافات مذهبية طاحنة عقب وفاة (الإمام أحمد) بفترة وجيزة وظهر التشدد والتنطع المهلك للأمم، ولم يأخذ أحد بأسلوب (الإمام أحمد) الذى كان يكره التحزب لشخص، وكان يقطع صحائف يراها أحيانًا فى يد شخص دون فيها فتاويه كي لا يأخذها الناس مجالًا للتناطح مع من يفتي بغير فتواه، وهو ما تم.... ولما لم تلتفت الأمة لهذا التحذير (فتنة خلق القرآن) فانغمست فى الدنيا، ابتلاها الله بالحملة الصليبية كبلاء من عنده، والتى بدأت فى العام 488 هـ أى بعد قرنين وبضع عقود.

مسلولة تريد بتر ألسن المنافقين والطغاة، وأياد كثيرة ممتدة تريد التقاط قلس[20] النجاة، وهنا.. تتدخل الأقدار الإلهية مكافئة مانحة "من تقرب إلي **شبرا تقربت إليه ذراعا ..**"... "**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**" فيخرج الله القذا من العيون، فإذا الناس مبصرون مهتدون.. فإن يعي الناس النعمة فيشكروها باتباع كل حق ومقاومة كل باطل، وبالثبات على طريق الهدى بعد أن نجاهم الله من طريق الغي والبلاء.. وإلا عمهم الله بعذاب أشد، وإن الله لا يعذب أمة محمد بما عذب به عاد وثمود، ولكنها فتن تموج كموج البحر، ولا بيان بعد العيان، ولا أثر بعد عين..... "**إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا ...**"

(يسكت قليلًا، ثم يكمل بصوت فيه شيء من أسى وخوف)

ـ" **فقد مضت سنة الأولين**"

ستار

20. القلس: هو حبل السفينة الضخم.

المشهد الثامن

انفراج الأزمة.

المكان : مجلس المتوكل

الأشخاص:

المتوكل

الإمام أحمد بن حنبل

حاجب المتوكل

صالح بن الإمام أحمد

الزمن : 8 ذي الحجة - 232 هـ [21]

****

21 . نسخ (المتوكل) الفتنة رسميًا مصدرًا اعلانًا عامًا بقتل كل من يقول بخلق القرآن عام 234، وبهذا تكون هذه الفتنة قد انتهت عقب 16 عامًا، وقد ثار بين الناس بسبب ذلك قول البعض أن الخلفاء ثلاثة.. (أبو بكر الصديق) في يوم الردة، و(عمر بن عبد العزيز) في رد المظالم، و(المتوكل) في إحياء السنة، وينسب هذا القول الأخير إلى (إبراهيم بن محمد التيمي) قاضي البصرة.

(يظهر (المتوكل) باسمًا، وحوله حاشيته في نفس مجلس (المعتصم) ومن بعده (الواثق)، ويدخل (الإمام أحمد) عليه فور فتح الستار مستندًا على ابنه (صالح))

(الإمام أحمد): (بملامح جامدة) ـ"السلام عليكم يا أمير المؤمنين"

(المتوكل): ـ"وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا إمام"

(الإمام أحمد): (في اندهاش) ـ"والله إن في الأمر لأمر"

(المتوكل): ـ"ما تعني؟"

(الإمام أحمد): ـ"أنت أول من رد سلامي منذ صرت في هذا الأمر"

(المتوكل): (متمعنًا في وجه (الإمام أحمد)) ـ"أنزلوا الناس منازلهم" (يعتدل في جلسته، ثم يبش للإمام أحمد) ـ"إنك يا (أبا عبد الله) في حل فلتدعوا دعواك في أمان، فوالله ما جاء أحد بحجة أقوى من حجتك فأميل إليه، ولا رأيًا أفضل من رأيك فأجلس بين يديه، وإني أريدك من خاصتي أعرف رأيك قبل كل سعي، وأتبرك بك في كل أمر ورأي"

(الإمام أحمد): ـ"إنما البركة في السير على السنة، ودحض البدع"

(المتوكل): ـ"بأمثالك نجلو الطريق إن شاء الله... وإني أستعين بالله مقصيًا من مجالستي كل من استبطنه الشر حتى خالط منه اللحم والدم والعصب، فجعله فتانًا إذا تحدث، منافقًا إذا أشار، حقودًا إذا تحدث عن غيره... ولكن أخبرني.. ألك حاجة أقضيها لك؟"

(الإمام أحمد): ـ"شكر الله سعي الأمير، فإنما أنا في خير ونعمة من الله، لا أريد إلا العون منه سبحانه على تمام شكرها"

(المتوكل): ـ"أحسن الله إليك يا إمام"

(يشير إلى بعض الخدم فيأتون (ابن حنبل) فيلبسونه لبسًا جديدًا، وعلامات الضيق بادية على (الإمام أحمد))

(الإمام أحمد): ـ"أصلح الله حال الأمير"

(المتوكل): ـ"ابق معنا تطعم من طعامنا"

(الإمام أحمد): ـ"إني صائم اليوم لله، وأريد أن أفطر بين أهلي"

(المتوكل): ـ"لك ما شئت اليوم، وغدًا ننتظرك في رحابنا نأنس بوجودك، ونغترف من علمك"

(الإمام أحمد): ـ"يسر الله الأمر"

(المتوكل): ـ"إن شئت اكتريت [22] لك بيتًا جديدًا تقيم فيه"

(الإمام أحمد): ـ"شكر الله سعي الأمير"

(المتوكل): ـ"قل لي ما قولك في (ابن أبي دؤاد)"

(الإمام أحمد): ـ"لا سامحه الله، ولولا غيابه عن المجلس لأكثرت" (ينظر إلى السماء) ـ"اللهم إنه ظلمني وأنت ناصري، اللهم احبسه في جلده وعذبه"[23]

(المتوكل): ـ"ثبتنا الله على الحق.. اذهب إلى شأنك، فإني والله أتقرب إلى الله بحبك، وإني قد عزلته، وعينت ابنه خلفا له" [24]

---

22. استأجرت.

23. أصيب (ابن أبي دؤاد) بالفالج (الشلل)، وظل 4 سنوات فيه فى ألم شديد حبيس الفراش، وكان يقول عن مرضه 'إن لي شقًا لو قرض بالمقاريض ما شعرت به وآخر لو وقعت عليه ذبابة فكأنه الجحيم، وقد دخل عليه بعضهم فقال: ـ"والله ما جئتك عائدًا وإنما جئتك لأعزيك في نفسك وأحمد الله الذي سجنك في جسدك الذي هو أشد عليك عقوبة من كل سجن"

24. عزل (المتوكل) (ابن أبي دؤاد) عن منصب قاضي القضاة الذى عينه فيه خلفًا لوالده فى نفس السنة عام 232 هـ، وقد سجن (المتوكل) (ابن أبي دؤاد) بعد ذلك عان 236 وصفي أملاكه، ثم أخرجه بعد ذلك، وقد توفي وهو وولده مغضوب عليهما، ومات هو فى عام 240 هـ

(الإمام أحمد): ـ"أكرم الله الأمير، وسدد رأيه... **"ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين""**

(ينصرف (الإمام أحمد)، و(صالح) بجواره يسنده)

(حاجب المتوكل): ـ"والله يا أمير المؤمنين إن هذا الرجل ليس بأهل لأن تخلع عليه من كرمك، وأن تؤويه إلى كنفك، وأن تسبغ عليه من فضلك، أو لم تر كيف رفض طعامك؟؟ إنه لا يرضى بطعامك ولا شرابك ولا يقبل بكرمك"(ينظر حوله ليجلب التأكيد من الموجودين، فيومئ بعض الموجودين برؤوسهم لموافقته، ويخشى آخرون فيكتفون بالصمت)[25]

(المتوكل): ـ"والله لو بُعث (المعتصم) من رقاده، فقال لي فيه كلاماً ما قبلته منه، ولو خيرني بين اتباعه واتباع (ابن حنبل) لأعرضت عنه... خلوا بيني وبين الرجل، فأنا أعلم ما لا تعلمون عن قدره، فذروني وما قررت في أمره... فوالله إن الرجل لنجم دليل للمسافرين الحائرين، وعين ماء بارد للظمأى السائرين على الدرب المبين، وبذكر ثباته يتجلد كل أمين، وإن له لذكرًا في الأولين والآخرين"[26]

ستار

---

25. استمر أهل الوشايات وعلماء السوء حتى بعد ما فعله (المتوكل) في السعي بين (الإمام أحمد) والمتوكل جاهدين لتقليب المتوكل عليه، ولعل هذا يوضح بجانب سياق أحداث الفتنة كلها خطورة إحاطة علماء الزيغ والضلال بالسلاطين.

26. كان (المتوكل) غير ميال إلى العلويين الشيعة، وكان ممن لا يفضلون أحدًا على (أبو بكر) و(عمر)، وهذا بخلاف (المأمون) الذى كان موقفه من خلق القرآن والميل إلى المعتزلة مقاربًا للشيعة الذين كانوا يميلون إلى نفس الآراء إذا كان هو من المشايعين للعلويين أصلا.

المشهد التاسع والأخير

وفاء:

المكان:

بغداد- أمام قصر الخلافة .

الأشخاص :

(الإمام أحمد)

صالح بن الإمام أحمد

الزمن :

232 هـ، عقب الخروج من عند (المتوكل) [27]

****

[27] وبهذا يكون (الإمام أحمد) قد أتم فى محنته 14 عاما، فى الفترة من 218 هـ وحتى عام 232 هـ .

(يتحرك (الإمام أحمد) متسندًا على ابنه (صالح)، وملامحه ثابتة لا تعكس ما تجأر به جوارحه)

(صالح): ـ"أراك عففت عن (المتوكل)، ولو شئت لكنت من صحبه المقربين الناصحين، الطاعمين عنده والشاربين، ومن الذين لا يُقطع أمر بدونهم"

(الإمام أحمد): (منتبه فجأة، وخالعًا ما عليه من الرداء الذي أهداه إياه (المتوكل)) ـ"أي بني! لقد سلمت منهم 60 سنة صابرًا... أأفتن بهم الآن!؟.. خذ هذا الرداء فبعه، وفرق ثمنه على الفقراء"

(صالح): ـ"كما تشاء يا أبي، ولكن أضايقك من أمر (المتوكل) شيء؟"

(الإمام أحمد): ـ"لا، ولكن لقصر السلطان فتنة، وما أرى إلا السلطان عازم على تعويضي عما لحقني من آل العباس من عذاب، وأخشى لو قبلت عوض الدنيا لما وجدت خيرًا في الآخرة، أي بني، إن الدنيا دار مقر والآخرة دار مستقر، وإن العلم لا يعدله شيء إذا كان خالصًا، وإن عندي لهم وشغل عن السلطان بعد انقطاع عن حلقات العلم دام لسنوات، ولا أبغى في غير ذلك راحة، أي بني اجعل التقوى زادك وانصب الآخرة أمامك يضاء لك الطريق، وتُذلل أمامك الدنيا وتأتيك صاغرة، أي بني إن فتنة ما سبقه من سلاطين كانت في علماء السوء، وأخشى أن أكون أنا المفتون الآن، ولا حاجة للسلطان لمثلي في مجلسه وحاشيته، وحسبه إن أراد خيرًا سأل أهل العلم فأفتوه، ولو سألني ما رددت سائله، أما القيام في داره، والعيش في كنفه، فهو أمر لا تُقبل عليه نفسي، وأمر لا أجد لقبوله نية"

(صالح): ـ"والله إني أخشى عليك تقلب السلاطين، وحسد الحاسدين، وكيد الفاسقين، فقد أغري بك من كانوا في ركاب السلطان، فقلت في نفسي، لو أنك كنت وسطهم لأمنت مكرهم، ولتجنبت كيدهم"

(الإمام أحمد): ـ"أي بني... انوِ الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير، ولا ترع فإن الله إذا أراد خيرًا بأمة وفق لهم حاكمًا صالحًا يقيم سنته، فاستحقوه واستحقهم، وإن حادت الأمة ابتلاها الله بحاكم غشوم يحيد عن السنة.. يستحقونه ويستحقهم، وإني لأرى خيرًا واستفاقة **"إن هذه تذكرة. فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلًا"** وأرى حرصًا على السنة من السلطان، وإن هذا لباقٍ ما دام العباد في خير من دينهم **"فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى"... "إنا هديناه النجدين إما شاكرًا وإما كفورًا"**.. وإن إصلاح العامة لأمر عاجل، وإني لا أعدل بسرد حديث رسول الله على آذان المسلمين شيئًا، أي بني إن الحياة قصيرة، فهي تمتد من آذان بلا صلاة إلى صلاة بلا آذان[28]، وهي تمر كما يمر الوقت بين الآذان والصلاة **"فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره"... "فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز"** فطوبى لمن صبر في القليل لينال الكثير، وويح من باع الكثير بالقليل... إنه إذًا لغوي مبين، فالصبر الصبر فإن المراد عظيم جليل، ومهما كان الثمن فهو هين قليل"

(صالح): ـ"أعانك الله يا أبت، ولكنك أعرضت كذلك عن طعام يرسله الأمير لك!"

(الإمام أحمد): (مبتسمًا شاردًا) ـ"يا بني إنما نحن قوم مساكين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا، وإننا لو طلبنا المال لم يأتنا، وإنما أتانا لما تركناه، فلا تشغل بالك بالدينا، فمن كانت الآخرة همه كفاه الله أمر دنياه"

(صالح): (بصوت لائم) ـ"لقد تركت مكانة علمية كبرى يا أبت ولكان لك أن تستفيد منها في الدعوة"

---

[28] من الآذان فى أذن الصبي المولود إلى صلاة الجازة .

(الإمام أحمد): ـ"إن القلنسوة لتقع من السماء على رأس من لا يحبها، وإن القبول في الأرض لن يأتي بمصاحبة أهل الأرض مهما عظم شأنهم، ولكن باتباع من في السماء، وإن الناس يحتاجون إلى العلم مثل الخبز والماء، ولو أنني أنفقت وقتي في ركاب الأمير لما وجدت وقتًا لسرد حديث رسول الله على العامة، وإني قلت كلمة لا خير إن لم أطبقها على نفسي أولا حين قلت لا تكتبوا العلم عمن يؤخذ عليه عرضًا من الدنيا.. أفتراني أقول غير ما أعمل!؟ ووالله يا بني ما عملت غير ما اعتقدت أنه حق، وودت لو أخرج من هذه الدنيا لا لي ولا علي"

(صالح): ـ"إن العامة لا يُصلحهم إلا السلطان الحازم المنضبط، فإن انضبط السلطان بعلمائه انضبطت الأمة، فما شُغلك بالعامة عن الخاصة يا أبت؟"

(الإمام أحمد): ـ"بل يا بني صلاح الدولة في صلاح الحاكم مع صلاح وحسن اتباع الرعية له، ولا غنى في أحدهما بعيدًا عن الآخر...."

(صالح): (مبتسمًا) ـ"مالي أستشعر وكأنك تسعى وراء ما تتلوه البلايا؟"

(الإمام أحمد): ـ"فلتعلم يا بني أن ثوب العز تغزله البلايا، وأن الصعاب لا يسعى إليها، ولكنها تسعى إلينا لتمحص القلوب وتطهر الصدور، ولتميز الخبيث من الطيب، وإن طريق العزم أوله محن وأوسطه عبر وآخره منح"

(صالح): ـ"والله يا أبت ما أردت الدنيا لك عوضا عن الآخرة، ولكنني أخشى عليك سخط السلطان، أوحجبك عن الناس، فينقطع علمك وخيرك" (مبتسمًا) ـ"وإني لا أعتقدني مغيرًا أمرًا أنت قد أثبته في رأسك"

(الإمام أحمد): (يبتسم، ثم يجد فجأة) ـ"أي بني هل لك أن تصحبني في قضاء أمرين؟"

(صالح): ـ"قضاء مال عليك!؟"

(الإمام أحمد): ـ"لا... ولكن نعمد إلى مال الأمير الذي أرسله، فنفرقه في أهله من الفقراء والمساكين فإن بقاءه في داري يهمني، ولو ظل إلى الليل لمنعني الكرى، ثم فلتجهز لنا راحلتين.."

(صالح): ـ"أخارج من البلدة بعد أن من الله علينا برضى الأمير!؟"

(الإمام أحمد): ـ"ليس ذاك، ولكنها دعوة تعهدت بها لرجل صالح ذات يوم تكون عند قبره" (يسكت قليلًا، ثم يكمل شاخصًا ببصره إلى الأعلى) ـ"وجب أن أوفي بها الآن عقب منّ الله علينا بجلاء المحنة، وانقشاع الغمة، وتوفير سبل الهداية للأمة... **"ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب""**

تمت

مَسِيرُ العَزْم

مسرحية

محمود سمير النويشي

فقبض بيده اليمنى على ساعدى الأيسر وأتى بى حائط قبر النبى - صلى الله عليه وسلم ، فوقفنى عند رأسه ، فقال: يا رسول الله ، فسمعت من وراء الحائط قائلا يقول :

- أتمضى لنا فى حاجة ؟
- فقلت إى والله ، إى والله ، إى والله
- فقال : تمضى حتى تأتى بغداد ، فإذا أتيتها فسل عن منزل أحمد بن حنبل ، فإذا لقيته فقل ...

(يقف البدوى للحظة وكأنه يستجمع أنفاسه التى بعثرها طول السفر الذى أتى منه ، مبتلعا ريقه ، وقاصدا شد انتباه الإمام أحمد الذى قطب جبينه مستعدا السماع أمر هام ...) ..

تصميم الغلاف
محمد مجدي

دار البيان
للنشر والتوزيع